الجمورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أحمد دراية–أدرار–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية

الجذور - تداعيات (من سنة 1934 إلى غاية سنة 1957م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب:

عبد الرحمان جرادي

إشراف الأستاذ :

الصافي ختير

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
د/ خي عبد الله	أستاذ	رئيسا
أ/ختير الصافي	أستاذ	مشرفا ومقررا
د/ بن سويسي محمد	أستاذ	ممتحنا

السنة الجامعية 1439هـ–1440هـ /2018م–2019م

إن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم

الإهـداء

إلى من تحملت عناء إنجابي وكابدت آلام السنين لأجل تربيتي.....

جوهرة حياتي **أمي الغالية**

إلى المرء الذي جعل العزة غاية، والإصرار سواية،والثبات في الأمور جميعها أنزل آية

إلى"أبي" سندي وفخري واعتزازي .

إلى القلوب التي تطير بدون جناحين "إخوتي" و"أخواتي

إلى زوجتي الغالية وأم البنين

إلى فلذات كبدي ورياحين حياتي ..... **مصطفى ومحمد ويوسف**

لهم جميعا أهدي ثمرة جهدي عربون محبة وعرفان

عبد الرحمان.

شكر وعرفان

مصداقا لقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ سورةإبراهيم آية07

وانطلاقا من الأثر القائل ((من لايشكر الناس لايشكر الله))

أولا أحمد الله وأشكره على مارزقني من نعم وعلى توفيقه لي لإتمام هذا العمل المتواضع

أشكر الشكر الجزيل أستاذي الدكتور الفاضل الصافي ختير الذي تفضل بمهمة الإشراف على الرسالة و تابع خطوات هذا العمل وأمدني بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي دللت لي الكثير من الصعوبات.

أتقدم بالشكر الجزيل لجميع أساتذتي بقسم العلوم الإنسانية بجامعة أدرار الذين تلقيت عنهم أبجديات المنهجية والبحث العلمي وأخص بالذكر كل من الدكتور خي عبد الله و الدكتور مرغيت محمد والدكتور رموم محفوظ والدكتور حمادي بن موسى والدكتور بوعريوة

كما لا يسعني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول مناقشة الرسالة وإثرائها

الشكر الجزيل لكل من وقف معي وساندني خلال مشقة البحث وأخص بالذكر

مقدمة

يعد تاريخ تونس الحديث والمعاصر مادة دسمة للبحث، وتربة خصبة للقراءات التاريخية، لتظهر بذلك مدرسة تاريخية تهتم اهتماما كبيرا بتطور الفعل التاريخي – الإنسان، الزمان، المكان– ليشكل ذلك الفعل البشري داخل المحيط الجغرافي لتونس خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، عامل جذب لكثير من الباحثين والمؤرخين، وعلى رأسهم عبد الجليل التميمي الذي أنشأ مدرسة خاصة تحاول إعادة كتابة تاريخ تونس برؤية جديدة– مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات– هذا على صعيد تونس، أما بالنسبة للمؤرخين الذين اهتموا بتاريخ تونس نجد يوسف مناصرية الذي كانت جل كتاباته حول موضوع الحركة الوطنية التونسية منها كتاب دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، وكتاب الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 هذا الأخير طرح فيه مشكلة الصراع بين تيارات الحركة الوطنية.

حاول مناصرية في كتابته للحركة الوطنية في تونس – من خلال كتابه الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية– التركيز على البعد الإيديولوجي للحركة والبنية الفكرية للأحداث التي عاشتها تونس بكل مشاربها ومرجعياتها خلال تلك الفترة، هذا التنوع هو الذي سيطبع معالم تونس الحديثة وطرق معالجتها للواقع بين التنظير والتطبيق.

إن البنية الفكرية كانت وليدة موجة الحداثة التي شهدتها تونس قبل الحماية، قد اقترنت بضرورة التماشي مع روح العصر، وضرورة إصلاح الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية للنهوض بالدولة والمجتمع، وبهذا جعل الفكر الإصلاحي من الفكر الحداثي تيارا أخر يصب في الوعي الوطني و بناء الوعي الاجتماعي.

إشكالية البحث :

بعد فرض الحماية الفرنسية خضعت تونس لنظام استعماري قائم على أساس إلغاء الحقوق الوطنية إذ جرد بايات تونس من سيادتهم ووضعت تونس تحت تصرف المقيم العام الفرنسي، ولم يقف مشروع النظام الفرنسي في تونس عند حدود الاستلاب السياسي والاقتصادي فحسب بل

تعداه إلى استهداف مقومات المجتمع التونسي وكرد فعل على هذه الإجراءات ظهرت نخبة مثقفة رفعت لواء النضال السياسي ضد المستعمر الغاشم غير أن هذه النخبة كانت قد تغذت أفكارها من مشارب متعددة أنتجت اتجاهات فكرية وأحزاب سياسية كان لها توجهات مختلفة ومتناقضة أحيانا أحدثت صراعا فكريا ومن هنا جاءت إشكالية البحث كما يلي:

ما هي أهم المرجعيات الفكرية التي رسمت ملامح الحركة الوطنية التونسية والتي دار بينها الصراع الإيديولوجي؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات أخرى أبرزها:

- ما هي أبرز القوى السياسية التي استطاعت إثبات نفسها على الساحة السياسية؟
- ما هي أبرز سمات الاختلاف الفكري التي كانت سببا في نشوب هذا الصراع؟
- كيف كانت طبيعة هذا الصراع الذي انعكس على الواقع التونسي ؟
- كيف أثر هذا الصراع في رسم معالم الدولة الحديثة؟

الإطار الزمني والجغرافي للدراسة:

ركزت الدراسة على الفترة الممتدة من 1934 إلى غاية1957 لأنها شهدت تبلور ونضج اتجاهات الحركة الوطنية خاصة الحزب الحر الدستوري الذي يمثل الركيزة الأساسية للحركة الوطنية كما اندمجت فيه كل المرجعيات الفكرية بداخله، واحتوى الكثير من الشخصيات الفاعلة على الساحة السياسية.

دوافع اختيار الموضوع :

لعل من أهم العوامل التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع كان من خلال:

1- إطلاعي لكتاب يوسف مناصرية : الصراع الاديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 الذي أعطاني نظرة على الواقع الفكري و السياسي في تونس فتولد لدي رغبة ملحة في التوسع في هذا الموضوع ومناقشته في هذه المذكرة و معرفة التطور الذي شهده هذا الصراع من خلال معرفة البنية الفكرية التي كونت الحركة الوطنية ومعرفة التحديات التي واجهتها الأطراف المتصارعة، بالإضافة إلى الميول الشخصية لهذه المواضيع السياسية الفكرية وكذا :

2- محاولة إماطة اللثام عن بعض الجوانب التي شهدتها تونس في تلك الفترة.

3- الرغبة الشخصية في التعمق في دارسة تاريخ الحركة الوطنية في تونس والصراع الإيديولوجي القائم آنذاك خاصة بعد دراستنا له في مقياس تاريخ تونس في السداسي الثاني.

4- عدم تطرق الدراسات السابقة للموضوع على مستوى جامعتنا كان من أبرز الأسباب التي دفعتني إلى تقديم موضوع جديد التناول.

خطة البحث:

بغية الإجابة عن التساؤلات المطروحة في الإشكالية قسمت الموضوع إلى فصلين بعد المقدمة و المدخل، ثم خاتمة وملاحق وفهارس.

تعرضت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وتحديد الأهداف المنشودة من الدراسة وطرح الإشكالية مع ذكر الصعوبات التي واجهتني ثم شرح الخطة.

أبرزت في المدخل الواقع العام لتونس خلال تلك الفترة موضحا العوامل المساهمة في نشوء الحركة الوطنية

أما الفصل الأول عنونته بـ المرجعيات الفكرية للحركة الوطنية. من خلاله حاولنا إبراز أهم التشكيلات السياسية أو في الأصل أهم منابع التي تغذى منها الأحزاب السياسية في تونس وقسمته إلى أربع مباحث تناولت فالمبحث الأول التيار الإسلامي وكيف نشأ، وفي المبحث الثاني تعرضت لتاريخ التيار الليبرالي، أما في المبحث الثالث تطرقنا لدراسة التيار الشيوعي، وفي المبحث الأخير تم تقديم عرض عن مسار التيار القومي

وتناول الفصل الثاني إشكالية الصراع في الحركة الوطنية خاصة خلال الفترة الممتدة من سنة 1934-1957 وتم دراسته في ثلاث مباحث فالأول اهتم بدراسة واقع الصراع الإيديولوجي، وركزت الدراسة على التنافس القائم مابين الثعالبي وبورقيبة وبين فكرة الوحدة العربية الإسلامية وفكرة الإتحاد المتوسطي كمرحلة أولى تم تطور التنافس بين الماطري و بورقيبة و ختمنا الصراع حول الخلاف اليوسفي البورقيبي، وقد امتد الصراع إلى ما بعد الاستقلال وقد حاولنا مناقشة ذلك في المبحث الثاني حيث اختص بدراسة إشكالية الاستقلال و المقاومة، فيما تناول المبحث الثالث إشكالية النظام والهوية

أما خاتمة البحث فقد حاولت تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها.

وأُرفق هذا العمل بمجموعة من الملاحق المتمثلة في صور و وثائق لها علاقة بالمتن المحرر بهدف إثرائه وتطعيمه أكثر، يُضاف لذلك فهارس للأعلام والأماكن والبلدان تسهل للقارئ تصفح هذا البحث.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على سرد الوقائع ووصفها كما جرت حيث سردنا تاريخ نشوء تيارات الحركة الوطنية وعوامل و بوادر نشأتها، وتحليلها مع التعليل والاستنتاج لاسيما ما تعلق بتأثيرات الصراع على مسار الحركة.

كما اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي لأهميته في فهم المادة التاريخية وطبيعتها ومن ثم نقدها وتحليلها بحثا عن حقيقة مظاهر تطور الحركة الوطنية من خلال تسليط الضوء على الشق الفكري والتاريخي

الدراسات السابقة:

تتطلب الضرورة العلمية الإطلاع على البحوث السابقة التي تناولت مجال البحث، وعلى الباحث أن يحسن توظيفها وهذا يعني أن يبدأ بحثه من حيث انتهى الآخرون لأن البحث العلمي تراكمي، وتعتبر البحوث السابقة أرضية صلبة يبني عليها الدارس بحثه دون اجترار لما سبق عمله، ومن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع: وركزت على إشكالية الصراع الإيديولوجي كتاب ليوسف مناصرية حيث ركز على فترة الدراسة وأبرز معالم الصراع فكان داعما أساسيا بالنسبة لي في بناء جملة من الأفكار حول هذا الموضوع. كما مثل كتاب جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934 للمحجوبي علي دراسة هامة أبرزت عوامل و بوادر نشوء الحركة الوطنية. وكتاب الطاهر عبد الله الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة

وتعتبر هذه الدراسات ذات قيمة علمية أفادتنا كثيرا في إعداد المذكرة خاصة أنها تناولت جزءا هاما من الفترة التاريخية المشار لها آنفا.

مصادر ومراجع البحث:

لتحرير هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ساهمت في إثراء هذه الدراسة، ومن المصادر المهمة التي ركزت على تناول الموضوع مصدر بعنوان تونس الشهيدة للثعالبي يعد هذا الأخير مؤسسا للحزب الدستوري التونسي فكان مصدره هاما في الدراسة كما تم الاعتماد على مصدر هذه تونس للحبيب تامر، و كذا الجزء الأول من كتاب حياة كفاح لأحمد توفيق المدني، وبالنسبة لأهم المراجع المعتمدة عليها في تحرير هذا البحث كتاب الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة للطاهر عبد الله ومن أهم الدراسات الأكاديمية التي تم الاعتماد عليها كتاب ليوسف مناصرية كما استعنا ببعض الدراسات والكتب التاريخية والفكرية لإثراء وتوضيح الشق الفكري للموضوع.

– الصعوبات :

لا يخلو بحث علمي من الصعوبات فكون الموضوع فيه شقين فكري تاريخي و شق سياسي تاريخي، حيث أن الازدواجية بين الفكر والسياسة في إطار تاريخي يجعل الموضوع متشعب بين أيهما أولا الشق الفكري أم الشق السياسي أم الشق التاريخي غير أن كلا الاتجاهات تصب في إطار معرفي واحد. هذا من جانب ومن جانب آخر، أن الدراسات التاريخية تركز بالأساس على الجانب السياسي وتطور التاريخي للوعي الوطني و الحركة الوطنية وتطور الحدث التاريخي

– صعوبة حصر الموضوع خصوصا أن الموضوع به ازدواجية بين الفكر والسياسة

– صعوبة الوصول إلى مادة أرشيفية والانتقال لمكان الدراسة ، لكني حاولت تذليلها قدر المستطاع وتجاوز العقبات.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث، وإعطاء هذا الموضوع حقه من الدراسة، ونتقدم بالشكر الجزيل للمشرف على ما قدمه لي من توجيهات سديدة أنارت لي سبيل البحث ويبقى بحثي مجرد محاولة فإن أخطأت فأسأله الغفران، وإن أصبت فذلك توفيق من المولى عز وجل نعم المولى ونعم النصير، وهو ولي التوفيق والسداد

الفصل الأول:

المرجعية الفكرية للحركة الوطنية التونسية

المبحث الأول: التيار الإسلامي

المبحث الثاني: التيار الليبرالي

المبحث الثالث: التيار الشيوعي

المبحث الرابع: التيار القومي

إن نشأة الحركة الوطنية التونسية بمختلف تشكيلاتها يرجع بالأساس إلى المرجعية أو الإطار الفكري الذي يحكم سياق المواقف والمسالك والآراء داخل الحركة حيث يبنى على أساسه منظومة تصورات واختلافات متمثلة في الصراع الفكري والإديولوجي ، وفي هذا السياق يقول عبد الله العروي[1]: إن الاديولوجية العربية هي كلام ذو بنية ومتلاحم وإنه يلعب دورا بصفته مرشدا للنشاط العملي، لكن محاولتنا تظهر أيضا أن هذا الكلام يستعيد حركة الوعي العربي وإنه في الواقع مستقل عن حركة المجتمع الذي يتحدث عنه والمتمثل بين اديولوجيتين العربية والغربية[2].

فالساحة التونسية تظهر لنا منبع التيارات بين ما هو شرقي وما هو غربي وبين ما هو إسلامي وما هو علماني، هذا التباين يرسم لنا صورة الحقيقة للحركة الوطنية ويبين لنا توجهات الوعي الوطني.

حيث يشكل الصراع الاديولوجي في العالم الإسلامي والعربي تحديدا واحدة من أبرز الأزمات خصوصا في شقها السياسي والاجتماعي تنحو نحو نفي الآخر وإلغائه من الحاضرة الاجتماعية والسياسية لأي بلاد، حيث تلقي بظلالها على مشاريع النهضوية والإصلاحية والاستقلالية، وفي الفترة الاستعمارية بين إصلاح واقع ووعي في بناء هوية وطن وتنوعا في فهم القضايا واختلاف في مناهج وطرق الحل.

لقد نشأت الصحوة الفكرية في المساجد والجوامع حيث كان جامع الزيتونة منارة العلم في تونس وحلقة الوصل بين المشرق العربي والمغرب فكان يمثل مدخلا طبيعيا للثقافة العربية الإسلامية، فلم يقتصر دوره على أداء العبادات ولكن تخطى ذلك إلى الدور الاجتماعي والتنموي الفاعل، حيث بقي الجامع طيلة القرون الماضية يخرج العلماء والفقهاء الذين استطاعوا أن يثبتوا الوجود الإسلامي في إفريقيا ومنه تخرج رجالات الدولة، ففي عهد الحسينيين1705-1957م قام البايات بإحياء التعليم في جامع الزيتونة وأصبح التعليم تحت رقابة الباي نفسه[3]، وفي عهد خير الدين باشا تم استحداث

---

[1]- عبد الله العروي مؤرخ وروائي مغربي ولد بأزمور سنة1933، تلقى تعليمه في العاصمة المغربية الرباط وتابع تعليمه العالي في فرنسا في جامعة السوربون وفي معهد الدراسات السياسية بالعاصمة الفرنسية باريس .حصل سنة 1956 على شهادة العلوم السياسية وعلى شهادة الدراسات العليا في التاريخ سنة 1958 ثم على شهادة التبريز في الإسلاميات عام 1963 .وفي سنة 1976 قدم أطروحة بعنوان "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية: 1830-1912" وذلك لنيل دكتوراه الدولة من السوربون، له العديد من المؤلفات الفكرية منها: كتاب **مفهوم الإيديولوجيا**، وكتاب مفهوم الحرية وكذا كتاب بعنوان مجمل تاريخ المغرب، مفهوم التاريخ...إلخ

[2] – عبد الله العروي، **الاديولوجية العربية المعاصرة**، ط01، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ،1970، ص277

[3] – خير الدين شترة ، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900– 1956**، ج01، ط خ، دار البصائر ، الجزائر، 2009،ص 698-701

مدرسة الصادقية من أجل أن تواكب التطور، وذلك بإدخال العلوم المعاصرة كاللغات الأجنبية[1] أهمها فرع مدينة صفاقس وبه توجد مكتبة عامرة من حسنات ولي أحمد باشا وفرع جامع عقبة بن نافع بالقيروان وفرع مدن سوسة و قفصة وتوزر وهناك فروع أخرى لتعليم الفرنسية ومبادئ العلوم[2]

لقد تخرج من جامع الزيتونة نخبة مثقفة ذات توجه إسلامي إصلاحي من أبرزهم محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين ومحمد العزيز وعبد العزيز الثعالبي[3] ونخبة من المفكرين ورجال العلم سواء في تونس أو الجزائر أمثال عبد الحميد بن باديس.

إن إصلاحات خير الدين أمكن للزيتونة أن تخرج علماء حقيقين في علوم الفلك والهندسة والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا كما تم فتح فروع للجامع في أغلب مدن تونس[4]

المبحث الأول: التيار الإسلامي

لم تغفل السياسة في تونس قبل الاستقلال أو بعده بقليل عن دور العامل الديني في تسيير المجتمع و توجيه نحو استيعاب ما يطرحه السياسي من اختيارات كبرى، ولا شك في أن اقتران السياسة بالدين مظهر من مظاهر الثقافة العربية الإسلامية التقليدية لم تشذ عنه تونس في مرحلة الحماية أولا، ثم بداية من تأسيس الدولة الحديثة ثانيا[5].

إن الثقافة الإسلامية هي المخزون الفكري والمحتوى للوعي واللاوعي المرتكز على القرآن الكريم الذي يعتبره المؤمن منهج حياة ودستورا للوجود ونظام مجتمع وحث على النظر في خلق الإنسان

---

[1]- محمد شاذلي بن القاضي، **الجامعة الزيتونة، المجلة الزيتونية**، هيئة مدرسي جامع الزيتونة المعمور، العدد57، مج9، ج06، 1955، ص291

[2]- محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص294

[3]- عبد العزيز الثعالبي ابن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي من أصل جزائري ولد بتونس، أصدر جريدة التونسي وانتسب إلى حزب تونس الفتاة، سجنه الفرنسيون ثم أطلق سراحه، فسافر إلى باريس واسطنبول والهند...، وبعدها رجع إلى تونس ليباشر في الأعمال السياسية، حيث قام بتقديم مذكرة في مؤتمر الصلح سنة1919،أنظر محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب**،ط02، ج18، المكتب الإسلامي، بيروت،1996،ص130

[4]- صالح الخرفي، **عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995، ص154

5 - عبد الرزاق الحمامي، **الفكر الإسلامي في تونس(1956-1987)**، مركز النشر الجامعي، كلية الأداب والفنون والانسانيات بتونس،2005،ص116

والكون ونعمة الحياة والوجود ومن خلال هذه الثقافة ينظر إلى الإنتاج الفكري والأدبي والفني ويرفض جميع أشكال العنف والعدوان والتبعية[1]

بدأ خير الدين التونسي مشروعه لبناء الدولة الإسلامية الحديثة بإرساء مفهوم راسخ للعدل وينبه إلى أن مركز الشريعة ليس الإيمان فحسب بل الإيمان والأمان والشريعة الإسلامية كافلة بمصالح الدارين ومع ذلك فإن التنظيم الدنيوي أساس متين لاستقامة أمور الدين لهذا عمل خير الدين على تقدم الدولة ونفع الأمة، وبناء الدولة الحديثة وذلك بنقل نظم الحرية الأوربية إلى المواطن المسلم الحاكم والمحكوم[2].

إن فهم خير الدين للحرية بإدانة الاستبداد بالسلطة وحكم الفرد والدعوة في كتابه إلى إحياء أهل الحل والعقد الاسلامي.

لقد كانت هذه الصحوة والنهضة الحديثة في فكر خير الدين التونسي تمثل نوع من التحرر الفكري والوعي التحرري ويحذر من خطر الاستعمار الأوروبي[3].

إن العامل الديني في تكوين المرجعيات الفكرية للحركة الوطنية التونسية يمثل إحدى المحركات التي يقوم عليها الوعي الوطني، فمشايخ الطرق كان لهم دورا فاعلا في تهدئة الخصومات بين أتباعهم بالإضافة إلى خلق مرجعية محكمة منظمة تستند في الأساس على مصادر التشريع والأعراف القبلية حيث استطاعت تكوين روابط قوية بين السكان[4].

لذا ساهمت الطرق الصوفية في بعث الوعي الوطني رغم ولاء بعضها للسلطات الاستعمارية.[5]

أخذت المقاومة للاستعمار الغربي طابعا عسكريا وسياسيا، ولكن قامت على توجيه إسلامي وعلى فكرة إسلامية أصيلة وما نسميه بالاتجاه الفكري الإسلامي المقاوم للاستعمار الغربي وهذا ما

1- محمد شيخاني، **التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام**، ط01، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 2008، ص132-133

2- صلاح زكي أحمد، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ط01، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص33

3- صلاح زكي أحمد، المرجع نفسه، ص34

4 علي محجوبي، المرجع السابق، ص118

5 التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939**، منشورات كلية الأداب بمئوية، تونس، 1992، ص116

يظهر جليا في الإصلاح الديني الذي دعا إليه الأفغاني ومحمد عبده حيث ارتكز في الأساس على تحديد المفاهيم الدينية وتطوير النظم الأوتوقراطية السائدة في الدول الإسلامية إلى نظام ديمقراطي على نمط أوروبي فإن النخبة التونسية كانت مطلعة على محاولات الإصلاح التي تشهدها المنطقة العربية سواء على مستوى مصر أو الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد خصوصا كون تونس ولاية عثمانية[1] .

وفي هذا الإطار ظهرت علاقة وطيدة بين الموجة الإصلاحية في المشرق والحركة الإصلاحية في تونس، حيث وجدوا في شخصية جمال الدين الأفغاني المصلح الكبير القائد المخلص وفي حركته العروة الوثقى الأمل حيث انظموا له وعملوا على توطيد الصلة بينه وبين عصبية الإصلاح التونسية.

وقد برز نشاط هذه الحركة بصورة جلية على يد الشيخ محمد السنوسي[2] زعيم الحركة الإصلاحية التونسية بعد فرض الحماية، خصوصا أن الواقع الإسلامي كانت مشاكله مشتركة وتكاد تكون وحدة إسلامية، ولذا لابد من تعاون الحركات الإسلامية فيما بينها، بل امتزاجها والتحامها ببعضها حتى تتمكن من تحرير الشعوب الإسلامية من الاستعمار حيث وجدت ضالتها في العروة الوثقى، لما أقام نخبة الحركة الإصلاحية التونسية علاقات وطيدة مع الأفغاني ومحمد عبده حيث زار هذا الأخير تونس في 06ديسمبر 1884 لتدعيم الروابط بين الجمعية وأعضاء النخبة التونسية.

كانت الحالة الفكرية في تونس أثناء هذه الزيارة مضطربة أشد الاضطراب حيث جمع الأذهان إلى روح التجديد الديني وطريقة استغلالها في الأعمال السياسية، ومن أبرز الوجوه الإصلاحية في تونس التي لازمت الشيخ محمد عبده الشيخ محمد السنوسي[3]والشيخ سالم الحاجب[4].

---

[1] فتحي حسن ملكاوي، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**، رؤية معرفية منهجية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط01، 2011، ص116

[2]- محمد السنوسي(1850-1900) أديب ومؤرخ وصحفي تونسي، درس بجامع الزيتونة، امتهن التدريس فكان الناصرباي من تلامذته عام1882 سافر إلى إيطاليا ومنها الأستانة، ولما عاد أسس الجمعية السرية للعروة الوثقى ، وبعد زيارة محمد عبده لتونس 1884-1885 تأثر به وعارض سياسة الحماية فنفته إلى الجنوب التونسي، أنظر يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص335

[3]صالح الخرفي، المرجع السابق، ص138

[4] الشيخ سالم بوحاجب (1827-1924) من رجال الدين والفكر والإصلاح والتعليم في تونس وأحد مساعدي الوزير خير الدين

كما استطاعت العروة الوثقى إقامة علاقات تعاون وتحالف بين المنظمات الاجتماعية والثورية وجمعية العروة الوثقى السرية التي تكونت في الشرق كي تكافح المستعمر وتدعو إلى التضامن الإسلامي والجامعة الإسلامية وتبشر بالتجديد والإصلاح.

إن العروة الوثقى لم تكن جريدة فحسب بل كانت تعبر عن سياسة ونهج سياسي لذا عمل الاستعمار على توقيفها لخطورتها عليه وكونها تسعى إلى إنارة العقول وتحسين الأوضاع.

إن تأسيس جمعية المنار بقيادة رشيد رضا أعطى نفسا جديدا وامتدادا لحركة العروة الوثقى في منهجها وأهدافها وتنظير للجامعة الإسلامية[1]

فالجامعة الإسلامية تعني في الأساس ذلك التيار الفكري والسياسي، الذي أبصر قادته وأنصاره أن هناك عددا من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي والشعوب والأمم الإسلامية كالتخلف الفكري والروحي والإنحدار الحضاري والسياسي في شكل المد الإستعماري والامبريالي إلى اختيار الجامعة الإسلامية كان هدفه العودة بالشعوب الإسلامية إلى دائرة التأثير الإنساني والعطاء الحضاري.[2]

لقد ظهر تيار الجامعة الإسلامية كنتيجة لعجز الدول الإسلامية عن رد الغزو العسكري والثقافي وقد تيقن عدد من المفكرين والإصلاحيين أن النضال المحلي في كل قطر إسلامي ضد الغرب لن تكون له جدوى مادام الغرب متفوقا لذا على الجميع السعي إلى وحدة عامة بين الأقطار الإسلامية يكون الإسلام منطلقها للإصلاح والنهضة.[3]

كتب علي باشاحانبه في جريدة التونسي عام 1910 يؤيد فكرة الجامعة الإسلامية: ((إن كل مسلم هو من أنصار فكرة الإتحاد الإسلامي، وأن التونسيين قاطبة أنصار لهذه السياسة ومتعلقون بالرابطة العثمانية التي معي نتيجة تلك الفكرة ومظهرها الباهر، وإذا كانت ثقافتنا العصرية

[1] –فتحي حسن ملكاوي، المرجع السابق، ص64

[2] محمد عمارة، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل**، دار الشروق، ط01، 1994، ص50.

[3] محمد قناش، **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص13

قد أكسبتنا عقلية جديدة، فإننا بصفة كوننا مسلمين قد احتفظنا بولائنا الخالص المتين لإخواننا في جميع الأقطار...))[1]

وطدت هذه الرابطة حسب تعبير علي باشا حانبه العلاقة المتينة بين الأقطار الإسلامية وهي القوة الموحدة، فالوحدة الإسلامية هي الطريق الوحيد لمقاومة الغزو الغربي، فالعالم الإسلامي يجب أن يتحد اتحادا دفاعيا عاما، مستمسك الأطراف، وثيق العرى من أجل البقاء.

إن هذا الحس الإسلامي تطور بعد قيام الحماية الفرنسية إلى شكل من الانتماء العربي الإسلامي لتونس، في محاولة لتحصين البلاد من عمليات المسخ التي تستهدف الشخصية المحلية، لقد عبر عن هذا الاتجاه شيوخ الزيتونة وطلبتها ومنهم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي أشار إلى أن الزيتونة قد مثلت مركز الضمير الجمعي ورمز الهوية الحضارية العربية الإسلامية، كما أن هذه المؤسسة لعبت دورا في تأطير مختلف شرائح المجتمع، ومن ثمة الدفاع عن هويته التي استهدفتها الإدارة الاستعمارية[2].

فالوعي الديني في الحركة الوطنية التونسية أيقظ روح الإصلاح والتجديد لتتفاعل موجة الحداثة التي تزعمها خير الدين باشا في تونس من أجل بناء دولة حديثة والأفكار القادمة من الشرق – العروة الوثقى والجامعة الإسلامية – لدفع بالوعي الإنساني والحركة الفكرية في تونس، فالعروة الوثقى كانت تحمل دوي المعركة الفكرية في النهضة الإسلامية[3].

إن التيار الإسلامي في تونس كان إصلاحيا يرتكز بالأساس على المشايخة، ومثل جامع الزيتونة منبر علم سعى للمحافظة على مقومات الهوية العربية الإسلامية، ولم يظهر بشكل حزب سياسي في ذلك الوقت.

إن موجة الإصلاح وموجة الأفكار المشرقية أنارت درب النخبة المثقفة في تونس وحملت على عاتقها بناء الحركة الوطنية الحزبية وكون طلبة الزيتونة أقلامها ومناضليها، وفي طليعة الفكر التحرري.

---

[1] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914 الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية**، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، 1983، ص111

[2] – محمد الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص213

[3] – مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، دار الفكر، دمشق، ط 03، 2000، ص53.

فالمسلم يعلم أن العقيدة إيديولوجية المستقبل تتلخص في كلمة واحدة، هي بذل الجهود إلى أقصى حد ممكن في العلم و الخير و الجمال و القوة المادية و المعنوية لازدهار الجسم في عالم الاقتصاد المستنير بالعقيدة وازدهار النفس في ميدان التربية والتفكير صدقا وأصالة وازدهار الروح في مجالات المعرفة النظرية والعلمية من العلوم النفسانية و الجمالية الى ترقي المشرق في علم العقل وهذا بعينه هو معنى الجهاد، والتحرر من القيود[1].

إن التيار الإسلامي يستند في فهمه للفكر إلى عقيدته التي ترمي إلى الجمع بين التفكير والتنوير و التطهير و التحرر.

إن التيار الإسلامي في تونس لم يظهر بشكل ما هو عليه اليوم من ناحية التنظيم والتحزب والتكتل بل جاء نتاج الفكر الإصلاحي الوليد من الفكر الإسلامي ونخبة المثقفة الزيتونية المتأثرة بالمد المشرقي في إطار النهضة العربية الإسلامية ضد المد الاستعماري.

المبحث الثاني: التيار الليبرالي:

تعود جذور الفكر الليبرالي[2] التحرري في تونس إلى نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية التدخل الأوروبي في شؤون البلاد حيث حمل لواء هذا الفكر مجموعة من المفكرين الليبرليين الذين أسهموا في بلورة هذا التيار ونقل مبادئ وأسس الفكر الليبرالي عن مفكري عصر النهضة الأوروبية .

إذ مثلت الحرية المطلب الأساسي والحيوي للمجتمع التونسي والعربي عموما [1]وقد تجلت واضحة في كتابات رواد الإصلاح عبر كتبهم الأدبية أو بياناتهم أو خطب زعماء الأحزاب السياسية

---

[1]– المهدي بن عبود ، **اديولوجية الاسلام** ، محاضرات الملتقى 6 للتعرف على الفكر الاسلامي ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ،م4 ، الجزائر 1974 ،ص 332

[2] إن الحرية هي مركز الفكر الليبرالي، ويأتي مصطلح ليبرالي من الكلمة اللاتينيةLIBRE والحرية هي أبرز نظرية وأهم مطالبات الليبرالية التي تسبق كل المطالبات الأخرى مثل دولة القانون أو الديمقراطية .تعني الليبرالية الحرية الفردية التي هي قاعدة كل مجتمع حر، فالإنسان الحر مع قدراته وإبداعه هو الذي يستطيع أن يجعل مجتمعه متقدما وراقيا والليبرالية كمصطلح مذهب فلسفي سياسي ونسق مجتمعي له شرط صيرورة وتطور فهو مذهب يقوم على احترام حرية الفرد واستقلاله ومنحه أكبر قدر ممكن من الضمانات ضد أي تعسف ويعرفها لالاند في موسوعته الفلسفية/الاستقلال عن المؤثرات الخارجية وهي أنواع الليبرالية المادية والليبرالية السياسية والليبرالية المدنية...إلخ وقد عرفها جان جاك روسو: بأنها الحرية الحقيقية.للمزيد أنظر طلال حامد خليل، **المرتكزات الفكرية الليبرالية–دراسة نقدية) دفاتر السياسة والقانون**، العدد15 جوان2016،ص156 ،أنظر كليمانز ريكر، **الليبرالية في تاريخ الفكر العربي**، ط01، 2010، ص18

الذين روجوا لمقولات الحرية السياسية وحق الشعب في اختيار حكامه وصياغة دساتير تضمن منظومة الحقوق والحريات، فكان شعار الحرية الليبرالية مرفوعا لأن الحاجة تدعو إليه وبصورة ملحة في ظل خضوع المجتمع التونسي لهيمنة مزدوجة تجمع بين استبداد الحكام وتعسف الاحتلال الوافد من الضفة الغربية للمتوسط غير أن ما يميز هذه الليبرالية بصورتها الناشئة استنادها للمرجعية الإسلامية بصورة لا يمكن إنكارها وهي مواقف نراها لدى مصلحين أمثال خير الدين التونسي (1810م-1899م) حيث دعا إلى الاستفادة من الفكر الغربي الحديث وضرورة تحقيق العدل والمساواة في الحكم وعدم الانفراد والاستبداد في السلطة، كما طالب بضرورة التجديد والاجتهاد في الشريعة.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انطلقت حركة التحرر الوطني للشعب التونسي مستمدة من بيانات الحلفاء الذائعة الصيت حول حق الشعوب في تقرير المصير، ومن بينها مبادئ الرئيس ولسن، إذ حاول بعض الوطنيين التونسيين وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي عرض قضية بلاده في مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام1919، وقدم مذكرة يطالب فيها باستقلال تونس، ولكن المؤتمر رفض الاستماع إلى وجهة نظر الشعب التونسي مما دفع الثعالبي إلى نشر كتاب باللغة الفرنسية في باريس بعنوان ((تونس الشهيدة)) فضح فيه دسائس الاستعمار وجرائمه في حق الشعب التونسي.

رغم أن المذكرة التي قدمها الشيخ الثعالبي، رفض الحلفاء تطبيقها وفقا لما جاء في مبادئ ويلسن14 ، إلا أنها مثلت محطة بارزة حولت الوعي الوطني من مرحلة رد الفعل إلى مرحلة المبادرة.

لذا تبلورت أفكار التونسيين التحررية أكثر وأسسوا حزبا حرا دستوريا في 03جوان 1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي، وكانت قيادة الحركة الوطنية التحررية في أيدي البرجوازية الوطنية التونسية وتمت صياغة برنامج سياسيا للحزب[2] ضم مجموعة من المطالب تمثلت في تشكيل مجلس استشاري وتأسيس حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس، كما طالب بالفصل بين السلطات والمساواة للجميع أمام القانون ودعي إلى تأسيس جيش وطني[3]

ولمطالب الحزب التحررية لقت الحركة تأييدا من كافة طبقات الشعب التي كانت تشعر بحاجاتها إلى حركة وطنية منظمة، وإن كانت ترمي لاستقلال البلاد عمل رجال الدين للتفاهم مع

---

[1] حمدي سمير، **هل لدينا أحزاب ليبرالية في تونس؟**، صحيفة الزيتونة، العدد 14،تاريخ2013/09/01،

[2] محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب محمد الشاوش، ط03، دار سراس،1993،ص115

[3] سمير حمدي، **الأحزاب الليبرالية في تونس، الضعف والعجز والفاعلية،**

فرنسا واقناعها بوجوب إرضاء غايات الشعب التونسي، إذ أن هذه الرغبات كانت تتعارض مع بنود الحماية[1]

سافر عبد العزيز الثعالبي إلى فرنسا يوم22ديسمبر1920م في وفد كان أكثر تمثيلا من الوفد الأول وانضم إليه أطراف معتدلة من بينهم(حسن القلاتي، الشاذلي القسطلي)، ركزت في برامجها على عدم تعارض مطالبها مع المطالب الفرنسية بتونس وتمكن الوفد من مقابلة رئيس الحكومة الفرنسية الذي وعدهم بإصلاحات، ولكن سان لوسيان[2] رفض مباشرة بعد تنصيبه لبرنامج إصلاحي بإنشاء مجلس استشاري وحكومة مسؤولة وقال أن هذا يتناقض مع برنامج الحماية، ولم يجد الوطنيون الحل إلا في التعبير عن حقهم من خلال الصحافة.

وفي سنة1923 ضغطت السلطات الاستعمارية على محمد باي بسبب مواقفه الوطنية وحوصر قصره، فهب الشعب إلى مساندته وأجبر القيم الفرنسي (سان لوسيان) على فك الحصار والتوعد بتحقيق المطالب التونسية لكنه سرعان ماعاد الملك إلى فرنسا، وأعاد الوضع من جديد، وصودرت الحريات وأغلقت الجمعيات والنوادي، وإثر هذه الأحداث توفي محمد الناصري، وفقدت الحركة الوطنية بذلك أكبر مسانديها إضافة إلى نفي الثعالبي إلى الخارج حيث عاش متنقلا بين مصر وبغداد وفلسطين، وهكذا ضعفت الحركة الوطنية التونسية داخل البلاد[3]

ولكن مافتئت مع مطلع الثلاثينات من القرن العشرين عادت الحركة الوطنية تكرر مطالبها من جديد ولكن بطرق سلمية بعد فترة الجمود التي كانت بسبب الاضطهاد والقمع الاستعماري، حيث قامت حركة قادها الشباب المثقف بعد عودتهم من فرنسا، وقد التقوا مع بقية الشباب التونسي المثقف حول جريدة الصوت التونسي فحدثت في تونس حادثتان ساهمت في انتشار الوعي الوطني من جديد الأولى هي انعقاد المؤتمر الأفخارستي1920م[4] بعاصمة تونس حيث أن التونسيين رأوا في انعقاد المؤتمر بتونس مساس بكرامتهم وإهانة لدينهم[5]، أما الحادثة الثانية فهي ماعمدت له السلطات

---

[1] خليفة الشاطر وآخرون، مرجع السابق، ص85

[2] سان لوسيان: ولد عام1867 عين مقيم عام في تونس في غرة جانفي1921 وبعد ذلك انتقل إلى المغرب، وبدأ مشواره محافظا لغارون العليا، وانتخب سيناتور1932، توفي سنة1938م

[3] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص57

[4] أحمد قصاب، **تاريخ تونس المعاصر 1881–1956**، تع: حمادي الساحلي،ط01، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، المرجع السابق، ص532

[5] مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد32، العدد04، نيسان2016،ص10

الفرنسية من إعداد العدة لإقامة احتفال من أجل مرور50سنة من الاحتلال وإزاء هذا الوضع اجتمعت طبقة مثقفة في مؤتمر30أكتوبر1930 قررت فيها مضاعفة نشاطها وكان من أبرز قادتها الحبيب بورقيبة والتف حول هذه الحركة ورأوا فيها أمل التخلص من الاستعمار

وفي سنة 1932 عقد الحزب الحر الدستوري التونسي مؤتمرا استثنائيا وانتخب أسرة تحرير العمل التونسي في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري وهم الدكتور محمود الماطري[1]، والمحامي الطاهر صفر والمحامي قيقة[2] والمحامي محمد بورقيبة وشقيقه الأصغر الحبيب بورقيبة. وقد مثلت قضية التجنيس من أهم القضايا الوطنية منذ مطلع الثلاثينات إذ شنت جريدة العمل التونسي حملة شعواء على هذا القانون، لما يمثله من خطر يهدد الهوية التونسية العربية الإسلامية، ودعت إلى منع دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية في المقابر الإسلامية، فكثرت المصادمات بين الجماعات الشعبية وقوات الأمن في عديد من المدن التونسية مثل تونس العاصمة، واضطرت في آخر الأمر إلى تخصيص أماكن لدفن المتجنسين خارج مقابر المسلمين، فكان انتصار كبير أحرزته الحركة الوطنية التونسية بوجه عام[3]، وجماعة جريدة العمل التونسي بوجه خاص

ومن هنا برز الحبيب بورقيبة رافعا شعار الليبرالية، وهكذا انبعث التيار الليبرالي من جديد جامعا مابين نخبتين إحداهما مثقفة ثقافة إسلامية عربية خريجة جامع الزيتونة والنخبة الثانية مثقفة ثقافة فرانكفونية متخرجة من الجامعات والمعاهد الفرنسية

وفي ماي1933 تم تنظيم مؤتمر نهج الجبل الذي افتتحه الحبيب بورقيبة، وألقى خطابا في مقال صدر بجريدة العمل التونسي 15ماي1933[4] ومن أهم النتائج التي خرج بها هي التمسك بمبدأ الحرية كما ضبط برنامج عمل الحزب على أساس استرجاع سيادة الشعب وإقامة برلمان تونسي

---

[1] محمود الماطري(1897-1972): مناضل تونسي، ولد في مدينة تونس، ودرس في المدرسة الصادقية وتخرج فيها وعمل معلما في مدينة المرسى عام1916، والتحق في كلية العلوم الطبية في مدينة ديجون الفرنسية عام1919 وفي عام1923انتقل إلى كلية العلوم الطبية في باريس، انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وشارك في الأممية الثالثة، امتهن الطب في تونس وفي عام 1933انضم إلى هيئة تحرير جريدة العمل التونسي وانخرط للحزب الحر الدستوري الجديد، وفي 1938 استقال من الحزب/ أنظر: بوذينة، **المشاهير التونسيين**، تونس، مطبعة فنون الرسوم للنشر،1988، ص454-455

[2] البحري قيقة : مناضل تونسي، ولد عام 1904 في تونس، درس القانون في فرنسا وتحصل على شهادة الدكتوراه عام1928، وخلال مساره الجامعي التقى ببورقيبة والطاهر صفر، وبعد عودته لتونس انضم لجريدة العمل التونسي وفي عام 1933 انضم للحزب الدستوري الجديد

[3] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص167

[4] قدادرة شايب، **الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري**، أطروحة دكتوراه دولة، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة قسنطينة، 2007، ص135

منتخب بالاقتراع العام وتفريق السلطة وإعادة الحريات العمومية وإجبارية التعليم، ونتيجة لهذه المطالب تم قمع الحزب الدستوري.

رغم السياسة الاستعمارية القمعية إلا أن الوطنيين الأحرار ازدادو إصرارا وتمسكا بمطالبهم لذا تم اللقاء في قصر الهلال[1] يوم02مارس1934 واتفقوا على تسمية الحزب باسم الحزب الحر الدستوري الجديد ويتزعمه لحبيب بورقيبة، حتى لاتتعرض لهم سلطة الحماية.

إن ميلاد الحزب الدستوري الجديد، كان امتدادا للحزب الدستوري القديم ولم يكن إنقطاعا له وبالتالي وجد الحزب أرضية إرتكز عليها ووجهها لمرحلة تاريخية جديدة حيث أصبح القوة الفاعلة في التيار الليبرالي، حيث دعا هذا الحزب إلى سلسلة من الإضرابات والتظاهرات ثم دعا إلى العصيان المدني وذلك لإجبار سلطة الحماية على التفاهم مع الحزب الدستوري الجديد وتحقيق مطالبه المتمثلة بالدرجة الأولى في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي ويسير شؤونه بنفسه[2]، مطالبا بفصل السلطات وحرية الاجتماع والتعبير والنشر لكل التونسيين.

أكد الحزب على الانتماء إلى العروبة والإسلام،وجعل من الآية القرآنية: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] شارة لحزبه وشعورا منه بروابط تونس المغاربية والعربية[4]

أمام هذه المطالب التحررية للحزب كون قاعدة شعبية وتكون لهم مركز ممتاز بين قادة الرأي العام وأصبح الشعب يعقد عليهم آمالا كبيرة في السير نحو الخلاص وإنقاذه من براثن الاستعمار وما نخلص له أن كانت ثقافة قيادات الحركة الوطنية في أغلبها مستمدة من المبادئ التحررية

والأفكار الليبرالية ومتشبعة بتاريخ تونس لاسيما ما خلفته أثار التعسف والتسلط الذي عاشه التونسيون زمن البايات، لذا انتشرت الفكرة الليبرالية انتشارا واسعا وطغت على الحياة الفكرية في البلاد، منافسة التيارات الإيديولوجية الأخرى.

---

[1] قصر الهلال : مدينة تونسية تقع في منطقة الساحل وملحقة إدارية بولاية المستنير، احتضنت هذه المدينة مؤتمر البعث أو مايسمى بمؤتمر الهلال ،أنظر: آمنة إبراهيم أبو حجر، **موسوعة المدن العربية**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص107-108

[2] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص180

[3] سورة التوبة الآية105

[4] سالم لبيض، **الهوية، الإسلام، العروبة، التونسة**، مركز دراسات الوحدة العربية،ط01، بيروت،2009، ص03

لقد مثل كل من ابن أبي الضياف و الطاهر الحداد صاحب كتاب امرأتنا في الشريعة و المجتمع و على بلهوان و الحبيب ثامر و الفاضل بن عاشور و الحبيب بورقيبة والقائمة تطول النخبة التونسية ممثلة الاتجاه التحديثي الليبرالي فهي متشبعة بفلسفة الأنوار الأوروبية و بالفلسفة الوضعية ، وقد كانت هذه القيادات بمختلف مواقعها تتفاعل مع حاضرها آنذاك وتتطلع إلى المستقبل و كانت تطلعاتها تستند إلى وضع نظام يأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات و انتخاب برلمان عن طريق الاقتراع العام وقد كانت هذه القيادات على بصيرة ثاقبة وفطنة وواعية بتحديات المرحلة و صعوباتها، فمن جهة نظام الحماية الفرنسية و من جهة ثانية النظام الاجتماعي العام .

المبحث الثالث: التيار الشيوعي[1]

شهدت تونس أولى جذور الحركة الشيوعية مطلع القرن العشرين وذلك قبل قيام الثورة البلشفية نفسها، حيث أسس الشيوعيون الفرنسيون عام1908(الجامعة الاشتراكية) وكان تونسيين أعضاء وصدرت للجامعة التي أصبحت تسمى عام 1919الجامعة الشيوعية بيانات تؤكد هذا التوجه وانضمت الجامعة عام1919إلى المنظمة الأممية الاشتراكية[2]

فتأسس الحزب الشيوعي التونسي-المرتبط عضويا بالحزب الشيوعي الفرنسي- في18ديسمبر1921 خلال عقد أول مؤتمر بحلق الوادي ولكن باعتبارها جناحا لفرع فرنسي للأممية الشيوعية ضمت نخبة من المثقفين ثقافة غربية معادية للثقافة المحلية التي تطغى عليها المسحة الدينية، لعب الحزب دورا بارزا حيث أيد مطالب الحزب الحر الدستوري وطالبوا مجتمعين بدستور وحكومة

[1] مفهوم الشيوعيّة هي عبارةٌ عن حركةٍ سياسيّةٍ تهدفُ إلى المساواةِ بين الأفراد في المجتمعِ الواحد؛ بحيثِ لا يكونَ أيّ فردٍ أفضلُ مِنَ الآخر، فالمجتمعُ يجمعُ بين أفرادِهِ تحت مِظلّةٍ واحدة. وتُعرفُ الشيوعيّة أيضاً بأنّها مذهبٌ فكريٌّ يسعى إلى تقديمِ المادّة على كل شيءٍ في الحياة، فهو يرفضُ التقيّدَ بالقواعد الدينيّة والاجتماعيّة التي تنظمُ المجتمع، بل يعتمدُ على الاهتمامِ بدور المادّة في إنتاج المجتمع، والفكر الإنسانيّ الخاصّ بالنّاس. يعودُ الظّهورُ الأول لمصطلح وفكرة الشيوعيّة إلى عام 1917م أثناء اندلاع الثّورة البلشفيّة في الأراضيّ الروسيّة، ولقد قام المفكّر ماركس بوضعِ الأُسس الخاصّة بها، والتي انتشرتْ بشكلٍ سريعٍ بين العديد من الشّعوب، ممّا أدّى إلى القضاء على الكثيرِ من المجتمعات، وظهور مجتمعات شيوعيّة قائمةٍ على الأفكار الماديّة البَحتة، وبعد تبنيّ الاتّحاد السوفيتيّ لهذه الحركة الفكريّة استمرّتْ بالانتشارِ بشكل كبير، وخصوصاً ضمن الدّول التي تبنّتْ الأفكار الخاصّة بها، ولكن انتهى وجود الشيوعيّة مع انتهاء وجود الاتّحاد السوفيتيّ في تسعينيات القرن العشرين للميلاد

[2]الأحزاب الشيوعية العربية ج01 قناة الجزيرة موقع الكتروني

مسؤولة أمام برلمان منتخب والمساواة الجميع أمام القانون والحريات[1] ، وبرزت مواقف الحزب من خلال الصحف التي أصدرها أبرزها: حبيب الأمة صدرت في 23أكتوبر1921، حبيب الشعب.

ولمواقفه تم قمع الحزب الشيوعي وحله من قبل المستعمر الفرنسي(1924-1925) لكن رغم قصر مدة عمله فإنه يبقى النواة الأولى للفكر اليساري التونسي وأول من نادى بالتحرر الوطني.

واصل الشيوعيون التونسيون نشاطهم بوصفهم ممثلين عن الفرع التونسي للحزب الشيوعي الفرنسي، منسجمين كل الانسجام مع الخط الوطني العام، لكن تعرضوا للقمع والاضطهاد من جانب السلطات الفرنسية على نحو خاص في جوان 1934، حين قامت هذه الأخيرة باعتقال ونفي قيادات الحزب الدستوري الجديد إلى جنوبي البلاد، إلى جانب قيادات الحركة الشيوعية التونسية أمثال محمد وعلي جراد وحسن السعداوي

ومع تولي الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا عقب الانتخابات التي جرت في شهر ماي 1936، ولدت آمال عريضة في تونس اغتنمها الشيوعيون لكي يدخلوا معترك النشاط في الأوساط النقابية والجماهيرية ويحدثوا فروعاً جديدة في البلاد، كما طالبوا بتحقيق إصلاحات ديمقراطية من بينها تمثيل التونسيين في صلب مجلس منتخب وحكومة مسؤولة، والنظر في إصلاح النظام الإداري والقضائي لمصلحة التونسيين، وأخيراً إصلاحات اقتصادية واجتماعية مثل إقرار ثماني ساعات عمل في اليوم، والعطلة الأسبوعية، وتبنوا في الوقت عينه "المسالة الوطنية" كما طرحتها حكومة الجبهة الشعبية لحل مسألة المستعمرات.

ولما اقتنع الشيوعيون بأن النضال من أجل الحرية يستوجب تشكيل حزب سياسي تونسي يدافع عن حقوق التونسيين وفق أدبيات الحركة الشيوعية المرتبطة عضويا آنذاك بالاتحاد السوفييتي والمعادية للامبريالية الأميركية لذلك عقدوا مؤتمر في 21-22ماي 1939 أقروا بتأسيس حزب شيوعي مستقل ومنفصل عن الحزب الشيوعي الفرنسي[2]

وبهذا كان الحزب الشيوعي التونسي من ناحية التكوين والأفكار فرعا تونسيا للحزب الشيوعي الفرنسي وكان من نتائج المؤتمر:

---

[1] محمد لطفي الشايبي، **ملاحظات حول بروز الوعي الوطني التونسي(1881– 1939) في الثقافات و الوعي الوطني** مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس 1999 ، ص 175

[2] – محمد لطفي الشايبي ، المرجع السابق، ص 177

- إقرار استقلالية الحزب وتسميته الحزب الشيوعي بالقطر التونسي.
- تولي التونسيين قيادة الحزب وانتخاب علي جراد أمينا عاما

وكان موقف الحزب الشيوعي مضادا لألمانيا وكان هذا الموقف يعني من الناحية السياسية العملية، مهادنة الحزب الشيوعي التونسي الاستعمار الفرنسي، والوقوف ضد استمرار الكفاح التحرري الذي يخوضه الشعب ضد سيطرته.

وهذا ما جعل الحزب الشيوعي التونسي يرتكب خطأً كبيراً، حين اعتبر الحزب الدستوري الجديد الذي كان على رأس الحركة الوطنية عميلاً للفاشية، لأنه لم يجمد نضاله السياسي ضد فرنسا، كما كانت تريد ذلك الجبهة الشعبية الحاكمة في فرنسا، ومصلحة الاتحاد السوفياتي. لقد أثرت هذه المواقف سلبياً في قوة الحزب الشيوعي التونسي وتطوره في ساحة العمل الوطني، وفي صراعه مع الحزب الدستوري، وأقامت انفصالاً بينه وبين الحركة الوطنية التونسية التي نهجت المواجهة مع الاستعمار الفرنسي بطرق متعددة. وكانت استراتيجية الحزب لم تعر أهمية للتناقض الحاصل بين الشعب التونسي والإمبريالية الفرنسية، رغم ما يكسبه هذا التناقض من طابع عدائي، حين أكدت ضرورة التحالف مع "الديمقراطيات الغربية" ضد الفاشية والنازية.

وبداية من أوت 1943غير الشيوعيون التونسيون اسم الحزب، فأصبح يسمى "الحزب الشيوعي التونسي " بدلاً من الاسم السابق، وهو"الحزب الشيوعي بالقطر التونسي ". ويعود تغيير اسم الحزب لسببين رئيسيين: أولهما، رغبة الحزب الشيوعي التونسي في الاستقلال عن هيمنة الحزب الشيوعي الفرنسي، وثانيهما: «عودة الوعي» إلى الشيوعيين، وتبنيهم من جديد لشعار الاستقلال السياسي لتونس[1].

وقف الحزب الشيوعي ضد ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية في إطار الحركات الشيوعية في العالم (الفاشية هي الخط الأكبر مما أزم علاقته بالحركة الوطنية التي يتزعمها الحزب الجديد خاصة مع تأجيل مطلب الاستقلال والموقف المعادي للمنصف باي سنة 1943م

على رغم انخراط العديد من العناصر التونسية المسلمة بداية من فترة ما بين الحربين، واستمر هذا الوجه المختلط من مسلمين ومسيحيين إلى ما قبل الاستقلال بقليل تقريباً. وكان لذلك تأثيره

[1]- الهادي البكوش ، **شهادات على الاستعمار و المقاومة في تونس و الجزائر و المغرب**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 2013 ،ص203

المباشر في مكانة الحزب، لان السلوك السياسي للحزب كان كما لو كان فرعاً تابعاً للحزب الشيوعي الفرنسي، حيث نجد الحزب الشيوعي التونسي يرد الاعتبار للنشيد الوطني لامارسياز، حيث أنشدها مناضلوه جماعيا في التجمع الذي أحيوا فيه مشاركة الحزب الشيوعي الفرنسي في اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني في 17أفريل 1944، وبهذا وقع الحزب الشيوعي التونسي في أخطاء قاتلة أثرت سلبا في ساحة العمل الوطني، بسبب صراعه مع الحزب الدستوري، وانفصاله عن الحركة الوطنية التونسية التي كانت تخوض معركة التحرر الوطني ضد الاستعمار الفرنسي بأشكال متعددة.

أدى ذلك إلى ضياع العديد من المواقف الصحيحة في زحمة المواقف الخاطئة واللاوطنية التي اتخذها، وضاعت تضحيات كثيرة للشيوعيين التونسيين في فترة الأربعينيات ضد الفاشية وضد رموزها من الفرنسيين أنصار حكومة فيشي.

وقد ازداد نفوذ الحزب الشيوعي في تونس غداة الحرب العالمية الثانية وهو نفوذ ناجم عن المكانة السياسية الكبيرة التي أصبح الحزب الشيوعي الفرنسي يتمتع بها في الحياة السياسية لفرنسا ومستعمراتها و مستعمراتها، وتجسدت سيطرة الحزب الشيوعي عن طريق المنظمات النقابية التي كانت تدور في فلكه مثل الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي وجامعة الصنايعية وصغار التجار في القطر التونسي كما كان نشاطه آنئذ علنيا، بينما كان نشاط بقية الأحزاب الوطنية الأخرى محظورا بحجة اتهامها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسية بالتواطؤ مع النازية في الفترة التي استولى فيها الألمان على تونس بين نوفمبر1942 و ماي 1943 وكانت علاقة الاتحاد العام التونسي للشغل[1]بالحزب الشيوعي التونسي يسودها المد والجزر.

[1] الاتحاد العام التونسي للشغل وهو منظمة نقابية تأسس في العشرين من كانون الثاني عام 1946، وانتخب فرحات حشاد أمينا عاما له، وقد قدم مساندته للحزب الدستوري الجديد في الضغط على فرنسا، فضلا عن دوره الاجتماعي من خلال الإضرابات والمصادمات مع سلطات الاحتلال الفرنسي، وموقف قادته من مختلف القضايا المطروحة على الساحة التونسية، وبعد اغتيال فرحات حشاد عام1952 انتخب أحمد بن صالح أمينا عاما له(1954-1956)، وبذلك مهد الإتحاد العام التونسي للشغل بزعامة أحمد بن صالح والحبيب بوقيبة لاستلام مقاليد الأمور، فأعلنت الهيئة الإدارية للاتحاد عن موافقتها على المعاهدة التونسية الفرنسية عام1955، وكان السبب في ظهور هذا الإتحاد هو بسبب الظلم الذي كانت تمارسه النقابات الفرنسية على العمال التونسيين من خلال سلب حقوقهم،أنظر عبد الحميد الأرقش، **الحركة العمالية التونسية1920-1957**، بيروت،1999، وكذلك أنظر سعد توفيق عزيز البزاز، **العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل1946-1956**، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد12، جامعة بابل،2013،ص20

ففي سنة 1948 شارك الإتحاد في لجنة الحرية والسلام التونسية إلى جانب مناضلين شيوعيين قبل انخراطه بالجامعة النقابية العالمية التي يسيطر عليها الشيوعيون .

و استمر نشاط الحزب الشيوعي حتى ما بعد الاستقلال 1956 وشكل قوة يسارية معارضة للدولة حيث انتقد منذ البداية استفراد البرجوازية بالسلطة وغياب التعددية السياسية وتهميش الطبقات الشعبية وبرزت معارضة علنية في المشاركة بالانتخابات التأسيسية للمجلس النيابي في ماي 1956، كما شارك في عدة انتخابات بلدية بالرغم من تعرضه لمضايقات متعددة من قبل أجهزة السلطة[1].

و بهذا نلاحظ أن نشاط الحزب ظل محدودا ولم يتمكن من اختراق النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع التونسي وظل عبارة عن مجموعة من ''المنبوذين'' الذين يبشّرون بثورة البروليتاريا في مجتمع لم يتبلور بعد طبقيا ولا توجد به بروليتاريا أصلا بالمعنى الماركسي وكل ما يوجد به طبقة أرستقراطية مدنية متكوّنة من كبار المزارعين والتجار ورجال الدين وطبقة من الفقراء بلا وعي طبقي.

ومن العوامل التي ساهمت في عدم تأثير الحزب على المجتمع التونسي وعدم التمكن من إقامة قاعدة شعبية وما زاد في عزلة الحزب الشيوعي التونسي موقفه من الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية حيث رفض تبني مطلب الاستقلال بل تبنى الائتلاف والاتحاد بين تونس وفرنسا بقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي في وقت كان فيه غالبية التونسيين يناصرون الحركة الوطنية بقيادة الحزب الحر الدستوري ويرون فيه قوة سياسية تعمل على تحقيق مطالبهم وفي مقدّمتها استقلال تونس[2].

المبحث الرابع: التيار القومي[3]

إن انتصار الغرب على العرب ساهم بشكل أو بآخر على تراجع دور المثقف والنخب المثقفة في المجتمع العربي والمتمثل في بلورة الوعي الاجتماعي الذي يشكل عاملا حاسما في تغيير الجماهير وتأثيرها في الوعي الجماهيري لأن الثقافة عنصر هام من عناصر الهوية والقومية.

---

[1] محمد المناعي، **الحزب الشيوعي التونسي(حركة التجديد حاليا)، لمحة تاريخية**، ج01، 27فيفري 2011، mani over-blog-com

[2] محمد علي الماوي، **حقيقة حزب العمال الشيوعي في تونس**، الحوار المتمدن، ع3282، صدرت في 200/2/19

[3] مفهوم القومية تعني الشعور المشترك بين جماعة معينة تنتمي إلى حضارة واحدة، ولها حدود جغرافية معينة، كما لها تاريخ ومصير مشترك.

فالثقافة القومية هي محصلة أفكار المجتمع العربي معارفه وفلسفته وما يجمعهم من تقاليد ويربطهم من قيم عربية إسلامية والتي من خلالها يمكنه بناء نهضة عربية تؤكد حقوق الشعوب وتقرر مصيرها.

ويمكن أن نقف في هذا الشأن مع موقف العلامة ابن خلدون الذي ركز على مسألة (النعرة)أو العصبية وهذه نزعة طبيعة البشر وهي لا تكون بين قريب في النسب فقط بل بين أبناء الأمة الواحدة طالما تجمعهم قواسم مشتركة بينهم وهي اللغة والدين[1].

ومن هذا المنطلق يتباذر للذهن كيف تأسس هذا التيار في تونس خلال الحقبة الاستعمارية؟

« ومما يزعمه المتفوقون في حملاتهم على الحركة القومية التونسية أن هاته الحركة لا ترمي منذ ظهورها لتحقيق مطامع قادتها بطريقة التمويه والدعاية السلبية إلا على جعل الشعب وميله الطبيعي إلى الهيجان وخرق القانون، ويدعى هؤلاء أن دعائم تلك الحركة تنحصر في استغلال نفسية الجمهور[2]...» إضافة إلى ما ذكر نجد من يقدم تفسيرا سياسيا للقومية على أساس أنها عقيدة سياسية قوامها إيمان الجماعة البشرية بأن لها خصائص مشتركة تجعل لها ذاتية معينة تميزها عن البقية ولها كيانها المستقل وتطلعاتها القومية وتنظيم في وحدة سياسية تنظيما اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا بما يحقق لها شخصيتها القومية[3] فعلى حسب يوسف بن عاشور أن الحركة القومية التونسية انحصر استغلالها في تفعيل نفسية الجماهير بمعنى ايقاظ الوعي الاجتماعي، ومن الملاحظ أنه في مطلع العشرينيات من القرن العشرين كانت النخبة السياسية تحث التونسيون إلى انتماء أوسع هو الانتماء العربي والإسلامي، متجاوزة بذلك سياسة الحصار التي رسمتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية، لقد جادت ذلك الوعي متأثرا بأفكار عبد العزيز الثعالبي، أحد أبرز مؤسسي الحزب الدستوري، ولم يكن يخفي اهتمامه بالقضايا العربية أولا وبالقضايا الإسلامية ثانيا، بل كان الاهتمام يضاهي اهتمامه بالقضايا

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ،مر:سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان ،2000

[2] يوسف بن عاشور، **الحركة الوطنية التونسية تونس الفتاة**، جريدة أسبوعية، السنة2، ع12، ص05

[3] هشام محمد الأقداحي، **معالم الدولة القومية الحديثة(رؤية معاصرة)**،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر،2008، ص30

الوطنية التونسية، بدأ الرجل حياته مناضلا في الجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية وانتهى مناضلا في الحركة القومية العربية[1].

إن الفكر القومي تم توظيفه كسلاح إيديولوجي من أجل المقاومة وتأكيد الذات والمحافظة على الشخصية، مما جعله يتحول إلى هدف في ذاته فازداد ثقل حضوره في الوعي العربي بتزايد التحدي الخارجي[2].

لقد حاول الدكتور الهادي التيمومي في كتابه: كيف صار التونسيون تونسيين أن يوضح تلك الصورة الحقيقة إلى البطش والاستبداد.

وأول تيار قومي حقيقي ظهر في تونس هو حركة الأمانة العامة بقيادة الصالح بن يوسف[3] الذي انسلخ عن الحزب الحر الدستوري الجديد وأسس تلك الحركة التي تتبنى العروبة بعد الاحتكاك بجمال عبد الناصر نفسه نصير تلك الحركة وممولا لها بالسلاح والمال في إطار الحفاظ على النهج الثوري والثورة المسلحة التي انطلقت 1952بقيادة جيش التحرير الشعبي والطاهر الأسود على أرضية رفض الاستقلال الداخلي التي وقعها بورقيبة مع فرنسا.[4]

وقد امتزج في تكوين الحركة الوطنية التونسية مفهومان للوعي الوطني القومي هما:

مفهوم الأمة التونسية بمعناه المحدود ، ومفهوم الأمة الإسلامية بمعناه الشامل الأوسع ، فمفهوم الأمة التونسية كان واضحا وفاعلا في عقول النخبة المثقفة أو الاجتماعية المتصلة بالعالم العصري المتجدد ، أما مفهوم الأمة العربية الإسلامية فكان في أذهان الجماهير الشعبية و المتعلمين التقليديين ، وبذلك تجد أن النضال السياسي كثيرا ما يسند الجهاد الديني أو العكس ، وهي إحدى عوامل نجاح الشعب التونسي في طرد الاحتلال و الاستقلال الكامل في نهاية المطاف.[5]

---

[1] سالم لبيض، **المرجع السابق**، ص64

[2] محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1990،ص46

[3] صالح بن يوسف، يعد أبرز قادة الحركة الوطنية التونسية ولد بجربة في11 أكتوبر1907، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب القرية، جامع حاضر باش، ولما بلغ الثامنة من عمره، أرسل ليتعلم في المدارس العصرية، ثم التحق بمعهد كارنو، ثم هاجر إلى فرنسا لإتمام دراسته، فحصل على الإجازة في الحقوق سنة 1933 تولى الأمانة العامة للحزب الدستوري الحر الجديد، كما تقلد مناصب هامة ، دبرت عملية اغتياله في ألمانيا عام 1961، أنظر: عروسية التركي، **الحركة اليوسفية في تونس 1955–1956** ،ط1 ،مكتبة علاء الدين ، تونس ،2011، ص ص 312-318

[4] خالد الكريشي، **القوميون في تونس هل يشفع لهم تاريخهم؟** جريدة الضباح، نشرت 2011/03/14

[5] – عبد العزيز بم حمد الحسن ، **مختصر تاريخ البلاد التونسية الإنسان و الأرض**، من عصور ماقبل التاريخ حتى الاستقلال، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1434 هـ، ص 306

خلاصة الفصل الأول

إن الصراع بين التجديد والتقليد على صعيد الفكر والإيديولوجيا هو بصورة ما انعكاس للصراع الطبقي على الصعيد الاجتماعي، غير أن وضعية النهضة في الوطن العربي الحديث والمعاصر تختلف عن وضعية النهضة الأوربية الحديثة والمعاصر في مسألة أساسية، وهي أنها لم تكن محكومة بمعطياتها الداخلية وتطوراتها الذاتية وحدها، بل كانت ولا تزال واقعة تحت وطأة عامل خارجي ثقيل الوزن مزدوج الشخصية :إنه الغرب

إن التيارات الفكرية في الحركة الوطنية التونسية متشعبة ولها امتدادات داخل المجتمع لذا كونت قاعدة شعبية لمواصلة النضال والمقاومة غير إن هذه التيارات تبقى قوتها في المحرك الأساسي الفكرة أو الزعيم فكلما كانت الفكرة قوية استطاعت إثبات نفسها في ميدان الصراع و كلما كان الزعيم أقوى كلما استطاعت التوجه أفضل، إن بقاء هذه الأفكار مربوط بالأساس على مدى تأقلمها وتفاعلها مع الواقع الاجتماعي و مقدرتها على التعبير عنه .

ليس بالضرورة أن هذه المرجعيات التي كونت الوعي الوطني استطاعت إنشاء قوى سياسية في الميدان بل إن بعضها ظل مرتبط بشخصيات فقط أو رموز وطنية

وأمام هذه الإيديولوجيات المتنوعة سوف يكون كسب ولاء الشعوب المقهورة هو قوة أي تيار و التعبير عنه هو طريق النجاح والحرية.

إن التيار الإسلامي كان إصلاحيا ذا بعد عربي إسلامي وحدوي يشبه المحافظين الدين همهم الوحيد هو البقاء في دائرة الإرث و المعتقد السائد والسعي لرفض كل ما فيه تقليد للغرب، إن التيار الإسلامي لم يظهر كما هو عليه اليوم إلا في السبعينات في تكتل قوي منظم يعبر على الروح الإسلامية.أما في عهد الحماية كان تيارا يركب موجة الصحوة و النهضة العربية الإسلامية ذو نسق مغاربي و روح مشرقية إن هذا التيار نتاج الموجة الحداثية التي ظهرت قبل الحماية بسنين .

أما التيار الشيوعي و الليبرالي فهما نتاج احتكاك النخبة التونسية بالأفكار الغربية و الموجة الحداثية التي كانت منبهرة بالغرب فالشيوعيين كانوا مع السياق العالمي للتيار الأفكار التي تعتمد في الأساس على تحرك القوى العمالية والطبقات الاجتماعية وكأنها تسعى إلى تغيير الواقع الاجتماعي غير أنها كانت تدور في فلك المد الحزب الشيوعي الفرنسي بين علاقة تأثير و تأثر لكن ظلت حبيسة طبقة معينة من المجتمع ،غير أن التيار الليبرالي الذي سيركب الموجة التحررية و يؤطر الحركة الوطنية

التونسية غير أنه سيكون له نظرة إستراتجية في تفعيل الواقع السياسي والاجتماعي ويحرك القوى السياسية في تونس .

غير إن التيار القومي تيار يتشبث بالوحدة العربية المغاربية في التنسيق في العمل التحرري و المقاومة .

إن الحركة الوطنية التونسية كانت عبارة عن تمازج بين الأفكار القادمة من الشرق و أخرى من أوروبا ليكون المجال الحيوي لتونس مجالها الفكري التحرري بين صدام و تجاوب وحوار بهدف التعبير عن القضية الجوهرة ... قضية تونس الحرة ....

إن هذا التباين والاختلاف خلق نظرة متباينة في حل القضايا التي واجهتها الحركة الوطنية منذ نشأتها إلى الاستقلال وما بعده ليخلق هوية وطن جديد .....

الفصل الثاني:

إشكالية الصراع في الحركة الوطنية

المبحث الأول: واقع الصراع الإيديولوجي

المبحث الثاني: إشكالية الصراع في الحركة الوطنية

المبحث الثالث: إشكالية الهوية والنظام

إن الوقوف على إشكالية الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية لابد من الوقوف على البنية الفكرية التي اتسمت بها تونس في تلك الفترة ومعرفة أهم الأفكار

فالبنية الفكرية هي حقل الأفكار الذي يحدد فيه فكر الفرد وتطوره ومنبته، فالتربة التي تنبت عليها أفكار متعددة قد يبلغ الاختلاف بينها حد التناقض إلا أن جذورها تمتد من تربة واحدة وهذه الأخيرة هي التي تحدد لها طبيعة نشأتها ومجال تطورها، ووجود التناقض بين هذه الأفكار لا ينفي وجودها بل يكرس مبدأ التنافس والصراع، إن هذه البنية لها طابعا اجتماعيا وتاريخيا يحددها ويعها في منظومة اجتماعية شاملة.

تعتبر الصراعات الفكرية هي أقوى الصراعات التي تواجه الفرد والمجتمع لأنها واسعة النطاق ويصعب إيقافها وتتعدد أسلحتها وطرق كفاحها ولا تقتصر على الفكر في حد ذاته بل تتجاوزه لترمي بثقلها على المجتمع لتكون السياسة مجال التنافس والصراع.

إن الصراع الإيديولوجي في العالم الإسلامي والعربي تحديدا واحدة من أبرز الأزمات التي يشهدها العالم العربي وخصوصا تونس مجال دراستنا التي تعيش صراعا في شقه السياسي والاجتماعي تنحو نحو نفي الآخر وإلغائه من الخريطة الاجتماعية والفكرية لأي مجتمع، حيث أن هذا الصراع يلقي بظلاله على كل المشاريع التنموية والإصلاحية والتحررية في بعدها الأوسع، فإن الوعي الإيديولوجي الخاص بأي فئة أو نخبة ما، هو فكر طبقة اجتماعية ولاشك في أن الفرد ينمو فكره ووعيه داخل هذا الإطار، كما أن هذا التطور لايبقى محصور في فئة ما فهناك ايديولوجيات أخرى إنتاج أفكار ونخب بمستوى الوعي ذاته، ليظهر بذلك صراع بين ايديولوجيات التي أنتجها لنا المجتمع من خلال مستوى فهمها للقضايا التي يعيشها أو مستوى التكوين الذي وصلت إليه.

إن الصراع في تونس في فترة الحماية و ما بعدها في الأساس بين إصلاح واقع ووعي في بناء هوية وطن، تنوع في فهم القضايا المطروحة واختلاف في مناهج وطرق الحل.

المبحث الأول: واقع الصراع الإيديولوجي

لقد كانت موجة الحداثة التي عاشتها تونس بمثابة الانفتاح الفكري على العالم الخاجي ودافعا كبيرا في تكوين النخبة المثقفة، فالأفكار الواردة من الشرق ومن أروبا لاقت صدى لدى المثقفين، إن هذه الأفكار سيكون لها دور كبير في خلق جو مشحون داخل الإطار السياسي و الاجتماعي في تونس.

فما حقيقة هذا الصراع بين التيارات الوطنية في الحركة التونسية؟

في سنة1907استطاع علي باشا حامبه تأسيس أول حركة سياسية لمقاومة الاستعمار في تونس، والمتمثلة في الحزب التقدمي من أجل الدفاع على مصالح الأهالي[1]، والذي كان يدعو إلى المشاركة الفعالة للمواطنين في حكم البلاد مع بقاء نظام الحماية، تغير هذا الحزب إلى حزب تونس الفتاة سنة1908م، بسبب الحماية نفسها وذلك حين قررت السلطات الفرنسية تجنيس اليهود في تونس، وكان هذا الحزب متمسكا بفكرة الاستقلال مع ربط تونس بدولة الخلافة وقد اتخذ من الإضرابات وسيلة للتعبير عن سخطه السياسي[2]، كما حاول تنظيم الجماهير في إطار حزبي ووضع برنامج سياسي واجتماعي واقتصادي، إلا أنه على إثر حوادث الزلاج مسح مقابر المسلمين سنة1911 فقامت السلطات الفرنسية بحل الحزب واضطر من بقي من أعضائه إلى العمل سرا إلى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وفي 14مارس1920 أسس عبد العزيز الثعالبي الحزب الدستوري الحر وقام بتأسيس الفروع وتعبئة الشعب في جميع أنحاء البلاد وطالب هذا الحزب بنظام دستوري لتونس وتأليف حكومة وطنية

---

[1] شارل أندري جوليان، **إفرقيا الشمالية**، تسيير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، تونس، دار تونسية للنشر 1976،ص367

[2] صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، الجزائر، تونس،المغرب الأقصى، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر1993،ص324

مسؤولة أمام الشعب باعتبار تونس أول بلد عربي أعلن دستورا في سنة1865، يمنح بموجبه نواب الشعب حق المشاركة في الحكم وخلع الباي[1]

غير أن السلطات الاستعمارية مارست ضغوطا على الحزب ونفت زعيمه إلى الخارج وقد أثار الجمود الذي أصاب الحزب مجموعة من الشباب التونسي العائد من فرنسا وحاولوا تنشيط الحزب من جديد غير أن الصراع القائم بين الجيل القادم والجيل الجديد جناح موالي للتقاليد وجناح موالي لتغيير النظام السياسي[2].

لقد استطاع الثعالبي من خلال نشاطاته بعد الحرب العالمية الأولى إلى عرض القضية التونسية في مؤتمر الصلح في باريس عام1919 لكسب التأييد الدولي غير أن عدم تجاوب المنظمين المؤتمر بالقضية الوطنية حول إنشاء تيار إصلاحي سياسي اجتماعي ديني يحاول تأطير المجتمع التونسي والتعبير عن إرادته وأفكاره وقضاياه[3].

لقد كان كتاب تونس الشهيدة للثعالبي الذي نشره في أوائل 1920[4]بباريس البرنامج السياسي لتونس ومطالب الحزب التي تنادي باستقلال التام، وعرض الواقع الاستعمار الذي يعيشه الشعب التونسي، والأساليب الماكرة التي يلجأ إليها الاستعمار لجذب عواطف المستعمرين وتطبيق خططه الاستغلالية لقد عرض كتاب تونس الشهيدة فلسفة ونهج استقلالي لتونس أن هذا التوجه يشكل خطر كبير على مصالح الإدارة الفرنسية، لقد أثار الكتاب ضجة ودويا كبيرا في الصحف الفرنسية، حيث نشرت الصحف الحرة بعض المقاطع منه حيث ألقي القبض على صاحبه في باريس في28جويلية1920 وجيء به إلى تونس بتهمة التآمر على أمن الدولة التونسية[5].

---

[1] البشير بن الحاج عثمان الشريف، **أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881–1924**،دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،ط01، 1981،صص197-200

[2] Jacqueklein , **LaTunisie** ,PvF :Paris,1ere EDITION,1949,P107

[3] غيلان سمير طه التكريتي، **الحركة الوطنية التونسية في سنوات مابين الحربين1918–1939**، مجلة آداب الفراهيدي، العدد13، جانفي2012، ص187

[4] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق،ص116

[5] محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج01، دار الغرب الإسلامي،ط02،بيروت،1994،ص216

لقد وجدت الحركة الوطنية التونسية نفسها تمر بمراحل ومحطات رغم النشاط المكثف الذي قام به رجال الحزب الحر الدستوري التونسي لتمكين هياكل الحزب والتعريف بمطالبه عن طريق الخطب والمحاضرات، بواسطة المقالات المنشورة في الصحف، وقد حظيت الحركة الدستورية من أول وهلة بتأييد كافة الفئات الاجتماعية ومساندة الأمير محمد الناصر باي وأفراد عائلته وحاشيته وفي مقدمتهم ابنه محمد المنصف باي ولكن لم تمض مدة طويلة حتى ظهرت خلافات بين الشق الملتف حول الثعالبي والمتمسك بالمطالب الواردة في كتاب تونس الشهيدة والشق المعتدل الذي يتزعمه حسن قلاتي الذي يدعو إلى قبول الإصلاحات الهزيلة التي أعلنها المقيم العام لوسيان سان.

ومن هنا بدأ الخلاف يظهر داخل الحزب حيث اجتمع الأعضاء النافذين للحزب التونسي في20شباط1920[1] كي يضعوا حدا للخلافات لينتج عند ذلك شقين، لقد كان اختلاف على الطرق التي يسير عليها العمل فالطبقة الميسورة وأصحاب المصالح المادية في البلاد وكبار الموظفين يرون عن عقيدة، أن إحرج الحكومة ومقاومتها لايؤديان إلى النتيجة المرجوة بل قد يناقض مصلحة البلاد ويؤدي قضيتها وهم يؤثرون على المقاومة فسعوا للتفاهم واللجوء إلى الأساليب الهينة والاعتماد على الحقائق والأرقام في الدفاع عن حق الوطن، وفي رأي هذا الفريق أن نمو البلاد سياسيا واجتماعيا لايأتي دفعة واحدة، بل مرحلة تماشيا مع سنن التدرج الطبيعي[2] أما عامة الشعب فكانت عقيدتها لحل القضية هو مواصلة الكفاح بالطرق السلمية المشروعة، وهكذا تولد في البلاد مذهبان سياسيان اشتد الأخذ والرد بينهما.

لقد استطاع حسن قلاتي في أواخر 1921 تكوين الحزب الإصلاحي الذي لم يستطع استقطاب الجماهير الشعبية وسرعان ما أصبح حر بلا روح وبقي على هذا الحال حتى انحل من تلقاء نفسه عام1928م.

[1] يوسف مناصرية، **الصراع الإديولجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937**،دار المعارف، تونس،2002،ص08

[2] صالح الخرفي، **عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**،ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيرت، 1995، ص170-171

وأمام هذا الضعف والإنشقاق وجدت الإدارة الفرنسية الطريق مفتوح أمامها لمحاربة هذه الأحزاب وحلها، حيث تدخل المقيم العام لوسيان سان بكل ثقة لقمع هذه الأحزاب مستعملا أسلوب الترغيب والترهيب.

كما اغتنم المقيم العام الفرصة واستغل وفاة الناصر باي يوم10جويلية1922 وقام بإصدار مجموعة من الأوامر القمعية بمنح الجنسية الفرنسية للراغبين فيها من التونسيين كما أدى هذا الوضع إلى مغادرة العديد من زعماء الحركة النقابية التي كانت تسعى لتحسين الأوضاع وظروف العمل والتي عملت على ترسيخ الروح الوطنية في صفوف الطبقة العاملة[1].

الملاحظ في هذه المرحلة أن الحزب الدستوري لم يتأسس بالمفهوم التنظيمي للحزب وإنما كان عبارة عن جماعة تؤيد المنهج الإصلاحي المرحلي بالإضافة إلى التنوع في التركيبة الفكرية للنخبة نفسها، كما أنه كلما ارتفع صوت الفكرة الاستقلالية التي تطالب باستقلال البلاد وجلاء القوات الأجنبية عنها إلا وقاومتها السياسة الاستعمارية بالقوة والعنف تارة وبمصادمتها بجماعة من المواطنين أنفسهم يسفهون فكرة الاستقلال ويحبذون بقاء الاحتلال ويطالبون باصلاحات سطحية وتغييرات جزئية يزعمون أنها تسير بهم إلى الاستقلال الذاتي لا الاستقلال الكامل على مراحل، فتشتد الخصومة بين هؤلاء وبين المطالبين بالاستقلال والجلاء فيتعطل سير الكفاح وتعتل نفسية الأمة ويستريح الاستعمار[2].

لقد عرفت الحركة الوطنية التونسية في العشرينات تشكيلة سياسية متنوعة ذات توجهات فكرية مختلفة، فالحزب الحر الدستوري التونسي حزبا سياسي إصلاحي اجتماعي ديني معارضا لسلطة الحماية والاستعمار الفرنسي يهدف إلى استقلال تونس مرتبط بفكرة الوحدة العربية الإسلامية أساسها الدين الإسلامي واللغة العربية ذات امتداد حضاري عربي إسلامي[3].

---

[1] قدادرة شايب، المرجع السابق،ص101

[2] يونس درمون، **تونس بين الاتجاهات**، دار الكتاب العربي، مصر، ص43

[3] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص07

أما الحزب الإصلاحي بزعامة حسن قلاتي1921 كان يطالب بالالتزام بنصوص الحماية، ومنح التونسيين إصلاحات في إطارها وربط تونس بفرنسا ربط كلي، هذا التيار كان يحاول دمج تونس في إطار المستعمرات الفرنسية والخضوع إلى معاهدة الحماية، غير أن التوجه الثالث حزب المستقل الذي تزعمه فرحات بن عياد سنة1922 كان سائرا في إطار الحماية، ولا يعارض انحرافاتها.

لقد استطاع الحزب الحر الدستوري تكوين قاعدة شعبية وجماهيرية حيث أعطى للحركة الوطنية بعدا جديدا حيث ركز على مطلبين أساسيين هما الاستقلال الداخلي وإجراء إصلاحات في نطاق الحماية[1].

وفي تلك الأثناء لقي الحزب دعما واسعا على المستويين الداخلي والخارجي بفضل نشاطه المتمثل في تشكيل الوفود الدستورية لدى الباي أو الحكومة الفرنسية، فاتسعت خطواته وكسب تعاطفا في الأوساط الليبرالية، ما أقلق السلطات الفرنسية، ودفعها لمحاربة الحزب وإضعافه، وقامت باتهام الشيخ الثعالبي بالتآمر ضد أمن الدولة بالإضافة إلى الخلافات التي دبت بين الثعالبي وأعضاء حزب الدستوري بسبب الدسائس الفرنسية، كما قامت بتعطيل الصحف وإغلاق النوادي والجمعيات، مما كان سببا في رحيل الثعالبي إلى المشرق العربي حيث عاش متنقلا بين القاهرة وبغداد وفلسطين، وفي غيابه قام المحامي أحمد الصافي بالتصدي لقيادة الحركة الوطنية في تونس مابين عامي 1922 و1931، وفي هذه الفترة التي غاب فيها الثعالبي ظهرت وجوه جديدة في الحزب كان لها الأثر الكبير في إدارة الصراع داخل الحزب وتأطير الحركة الوطنية التونسية فيما بعد وأثر هذا الجمود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه الثعالبي ثائرة نفر من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة صوت التونسي في سنة1928 وكان يديرها الشاذلي خير الله بن مصطفى حيث استطاعت أن تمتاز هذه الجريدة بالصراحة والجر داخل الحزب وتأطير الحركة الوطنية التونسية فيما بعد وأثر هذا الجمود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه الثعالبي ثائرة نفر من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة صوت التونسي في سنة1928 وكان

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق،ص ص 239-244

يديرها الشاذلي خير الله بن مصطفى حيث استطاعت أن تمتاز هذه الجريدة بالصراحة والجرأة والصلابة أن تخلق تيارا واسعا أدى إلى تنشيط الحزب وإعادة الحياة إلى صفوفه[1].

في هذه الفترة نشطت الصحف(صوت التونسي-العمل التونسي) التي كانت تعبير على موقف النخبة من القضايا التي كان يعيشها المجتمع-قضية التجنيس[2]-المؤتمر الأفخارستي[3].

لم يكن الحزب الدستوري القديم حزب شعبي، وإنما يعتبر ركيزة الحركة الوطنية التونسية، لقد كانت الحركة الوطنية قبل نشأة حزب الثعالبي حركة نخبوية شملت جمعيات لها بعد ثقافي وأكثر منه سياسي، غير أن الثعالبي استطاع تأطير الشعب ودمجه في حركة الوعي الوطني، وأن فترة غياب الثعالبي فتحت المجال لظهور جيل جديد لعمل السياسي بتوجه جديد أكثر انفتاحا وأكثر نشاطا.

استغل الجيل الجديد غياب الثعالبي للقيام بانقلاب جهوي ضد سيطرة رجال العاصمة على الحزب حيث كان بورقيبة على رأس هذا الانقلاب حيث كان همهم سحب البساط من أبناء العاصمة ليتحول الحزب إلى أبناء الساحل واستطاع بورقيبة إحداث انشقاق جهوي في الحزب لقد كانت ردة أصحاب الحزب قوية واعتبروا هذا العمل خيانة للثعالبي في هذه الفترة استحوذ بورقيبة على الحزب.

إن الصراع في الحزب الحر بين الثعالبي وبورقيبة كان على أشده وتمركز خاصة حول مسألة مفهوم الاستقلال وطرق الكفاح وكانت طرق العمل والخلافات الشخصية هي العناصر الهامة التي حددت تطور العلاقة بين الفريقين.

لقد ركز الحزب الدستوري على الانتماء إلى المجتمع الإسلامي وحافظ على وجهه الوطني المتصلب في منظومة الوحدة الإسلامية، أما جماعة الديوان السياسي بقيادة بورقيبة رفضوا مبدأ الاستقلال بمفهوم الحزب الحر الجناح القديم معتبرا أن سياسة المطالب بالكل أو لاشيء سياسة غير

---

[1] عبد الله الطاهر، المرجع السابق، ص57

[2] عبد الله الطاهر، المرجع نفسه، ص58

[3] المؤتمر الأفخاريستي: مؤتمر مسيحي كاثوليكي انعقد بتونس مابين07و13ماي1930م، ضم المؤتمر وجوه تونسية تقلدت وظائف دينية وسياسية عالية كمحمد ببرم والطاهر بن عاشور، ومحمد شنيق، اعتبر التونسيون هذا المؤتمر تحديا لمشاعرهم الإسلامية خاصة وقد تم خلاله توزيع مناشير بالعربية تدعوا التونسيين الى اعتناق المسيحية، أحمد قصاب، المرجع السابق، ص532

معقولة لأنها غير ناجعة وينبغي مقاطعة المصريين على انتهاج هذا الخط ويرى بورقيبة أن مفهوم الاستقلال لديه هو أمر خاضع بلا شك إلى شروط تتمثل في العمل على توثيق الروابط مع فرنسا، ولابد أن يكون مفهوم التحرر والاستقلال بأن يتحققا بموافقة فرنسا[1].

تقوم إيديولوجية الإصلاح عند الثعالبي على أن مصدر التشريع الملائمة للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي فدعا إلى الوحدة العربية حيث قال(الوحدة العربية كيان عظيم ثابت غير قابل للتجزئة والانفصال[2]) فالجماهير الشعبية والمتعلمين ذوو التكوين التقليدي فإن فكرة الأمة العربية الإسلامية بقيت حية وكان الكفاح سياسي ذا صبغة دينية جهادية[3].

إن التطور التاريخي للحزب الحر التونسي شهد نمو كبير في مستوى الفكر من خلال النخب المكونة له في الفترة الأولى سيطر التيار المحافظين جماعة الثعالبي والذين يكونون اللجنة التنفيذية حيث تشددوا في المحافظة على الدين ورفضهم فصل الدين على السياسة واعتبروا أن الإسلام دين ودولة، حيث كان فكرهم قائم بالأساس على الحفاظ على الوطن قوي بالاعتماد على فكرة الجامعة الإسلامية والمحافظة على العادات والتقاليد وإحياء الوحدة العربية الإسلامية وانتهاج سياسة ذات فكر تحرري استقلالي بنبذ فكرة التبعية والتجنيس ولا لإدماج في مجتمع غربي.لذا كان الوطنيين التونسيين في هذا الاتجاه نحو فكرة الوحدة والجامعة الإسلامية لايستطيعون الانفلات منها فالحماسة الوطنية تبددت بالحماسة الدينية حيث بقي الاتجاه الأول تقليديا يتجه بأنظاره إلى الشرق الإسلامي ويهتف بأفكار شكيب أرسلان رائد الحركة اليقظة الإسلامية[4].

إن فترة غياب الثعالبي من أوت 1929 إلى 08جويلية1937 أججت الصراع بين شقي الحزب اللجنة التنفيذية والديوان السياسي لينقسم المجتمع التونسي على نفسه بين قسمين.

ففي02مارس1934 بقصر الهلال تأسس الديوان السياسي –الحزب الحر الدستوري الجديد– مبني على توجه إصلاحي واضعا برنامجا يشبه برنامج الحزب الإصلاحي الذي أسسه حسن

[1] يوسف مناصرية، مرجع السابق ، ص ص 23.24

[2] الطاهر عبد الله ، المرجع السابق ، ص55

[3] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 121

[4] يوسف درمونة، المرجع السابق ،ص ص 77. 79

قلاتي1921، غير أن هذا الحزب يتناقض مع ماجاء في نهج الجبل1933 وهذا التغيير الكبير راجع إلى الصراع داخل اللجنة التنفيذية ونظرتها حول تمسكها بفكرة الاستقلال الكامل.

إن التيار الجديد كان يرى الحزب الدستوري كأنه طريقة صوفية أو توجه ديني لاحزب سياسي وإن جماعة الثعالبي متشددين في المحافظة على الدين ويرفضون فصله عن السياسة باعتبار إن الإسلام دين ودولة وهذا مايعتبر إغراق القضية التونسية في الوحل وتمزيقها بين السلطة الروحية والسلطة التنفيذية جعلت الحزب بمثابة طريقة صوفية رجعية[1].

لقد كانت جماعة العمل التونسي عربية الثقافة وعلمانية المنهج وكثيرا مايؤخذ على الحزب الجديد وجهه الإزدواجية بين ماهو غربي ديمقراطي أمام الغربيين وإسلاموي كاره للأجانب عندما يتوجه إلى أنصاره وإن مفكري الحزب مخلصون حقا في اعتناقهم الأفكار الغربية[2].

لقد ارتكز الحزب الجديد على توثيق الروابط مع فرنسا واتباع سياسة التدريج والمراحل والدعوة إلى تأسيس مجموعة متوسطية تكون تونس جزء منها بمعنى أخر رفض مبدأ الاستقلال بمفهوم الحزب القديم والمطالبة بالسيادة المزدوجة والمتمسكة بالحقوق المكتسبة من خلال النضال.

أن التركيبة الفكرية للحزب الدستوري الجديد خلقت نوع جديد فهيكلت الحزب وصراع حول الزعامة وقيادة الحزب وهذا مايظهر من خلاف ناتج بين الماطري وبورقيبة، حيث قرر قادة الحزب الدستوري الجديد إعادة النظر في السياسة المنتهج وطريقة التعامل مع الإدارة الفرنسية حيث رأوا ضرورة عقد مؤتمر للبحث عن إستراتيجية جديدة لمواجهة المستجدات وذلك في31أكتوبر1937بشارع التريبونال حيث كان محمود الماطري على رئاسة الحزب، وقد تخلل أشغال المؤتمر مناقشات حادة لاسيما داخل لجنة السياسة العامة ولجان المالية حيث انتقد عدد كبير من

[1] سالم لبيض، المرجع السابق ،ض66

[2] يوسف درمونه، المرجع السابق ، ص79

النواب هاتين اللجنتين بحدة وضع ميزانية الحزب التي صارت منذ رجوع المبعدين تحت تصرف بورقيبة وحده رغم وجود أمين مال لأن هذا الأخير أصبح منصب صوري[1].

لقد اشتد النقاش حول العديد من المسائل خصوصا مسألة الاستقلال، فالماطري يرى ضرورة التمسك بعبارة التحرير الواسعة المعنى لأن استعمال كلمة الاستقلال حسب رأيه من شأنه أن تغلق جميع أبواب النقاش مع السياسيين الفرنسيين ، ومع هذا التصعيد بدأت موجة إضرابات تزعمها بورقيبة وصالح بن يوسف وسليمان بن سليمان غير أنها لم تجد تأييد من الماطري، حيث اندلعت بعض الحوادث واعتقال عدد من الوطنيين.

في حقيقة الأمر فالخلاف بين الحبيب بورقيبة والماطري بسبب اختلاف وجهات النظر فلأخير يميل إلى التهدئة ومراعاة الظروف التي تمر بها البلاد بينما بورقيبة عمل على تصعيد الأمر الذي لم يطقه الماطري ليقدم استقالته من رئاسة الحزب[2].

والملاحظ أن الحبيب بورقيبة كان عنده شغف الزعامة وريادة الحزب الدستوري وإدارة دواليب السياسة في تونس ليكون بذلك المجاهد الأكبر والمناضل القوي لقد برز كخطيب مولع بالسياسة والفن والتاريخ ويتمتع بذكاء حاد وامتاز بالقدرة على التحليل المواقف والمواضيع قولا وتحريرا مكنه من كسب قاعدة شعبية عند العامة.

لقد أثار المفاوضات التونسية الفرنسية في 03جوان 1955 التي نصت على احتفاظ فرنسا بالشؤون الخارجية والدفاع عن تونس وضمان مصالحها وامتيازاتها في تونس وإقامة إتحاد جمركي بين البلدين مع الاحتفاظ بقاعدة العسكرية في بنزرت خلافا كبير داخل الحزب الحر الدستوري بين بورقيبة وصالح بن يوسف الذي عارضها مؤكدا أن الاتفاقية تعطي لفرنسا وحدها حق التصرف في المجالين الخارجي والدفاعي –استقلال ناقص في وجهة نظره– ورفضه مبدأ الاستقلال الداخلي ووصف بأن المعاهدة مثلت تراجع خطوة إلى الوراء، في حين اعتبرها بورقيبة مرحلة من مراحل الاستقلال الفعلي

[1] محمود الماطري، **مذكرات مناضل**، تقديم عز الدين قلوز، تعريب حمادى الساحلي ،ط1 ،دار الشروق ، القاهرة ، مصر،2005 ، ص119 .120

[2] محمود الماطري ، المصدر نفسه ، ص 122 .124

ولم يقبلها إلا على أساس ضرورة تغييرها معتمدا على إستراتيجيته خذ وطالب[1] علما أن العديد من التونسيين من أمثال صالح بن يوسف ويوسف الرويسي، وحسين التريكي لم يرضيهم ماحققه بورقيبة واعتبروه هذا استسلام للمستعمر، وخرقا للحق الوطني الكامل.

لقد شكل الصراع البورقيبي واليوسفي صراعا داميا واتخذ طابعا دينيا وثقافيا وحضاريا وهي إفراز لخلاف فكري، وطرح سياسي[2]، إذ لم يكن مجرد صراع سياسي فقط، خصوصا إن صالح بن يوسف كان يدافع على الهوية العربية المرتبطة بالحركة القومية العربية والمد التحرري العالمي، بالإضافة إلى ذلك تحالفه مع المؤسسة الدينية حيث جعل من جامع الزيتونة مقرا لتنظيم أول لقاء جماهيري ضد بورقيبة، وأعطوا لمعارضتهم طابعا دينيا مستغلين القيمة التراثية للجامع حيث ألقى منه خطابا بين فيه: أن الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها في أيدي أجنبية إن هو إلا استقلال زائف وخدعة استعمارية[3]. لقد كان هذا الخطاب بمنزلة الشرارة التي ألهبت نيران الخلاف، وحولته من مجرد اختلاف في الرأي حول مسألة مصيرية من قضايا الأمة ألا وهي استقلال الوطن وتخليصه من الاستعمار إلى مواجهة حقيقية بين قطبين متضادين من أقطاب الحركة الوطنية التونسية.

لقد حرص صالح بن يوسف على دعم وتأييد مكتب المغرب العربي وجمال عبد الناصر في مواجهة بورقيبة وتقوية الجيش التحرير التونسي الذي كان يتلقى الدعم والتأييد من هذا المكتب، وفي خطاب ألقاه ابراهيم طوبال الممثل الرسمي للحزب الحر الدستوري في لجنة تحرير المغرب العربي في أكتوبر1955 خطابا أعلن رفض الشعب التونسي للاتفاقية التونسية الفرنسية التي يراد بها وضع قيود على تونس قائلا: سيحطم الشعب الأغلال على رؤوس من وقعوا هذه الاتفاقية التي ترمي إلى تحويل تونس من الوجهة العربية إلى الغرب الإستعماري[4]

---

[1] أحمد مهابة، **قضايا المغرب العربي خلال 30 عاما** ، مجلة السياسية الدولية ، العدد 121 ، القاهرة ، جوان 1995 ، ص 139

[2] عمارالسوفي ، **بني خداش و جيرانها عبر الحركة النضالية – من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية** – ط1 ، 2001 ، ص 149

[3] الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 137

[4] الطاهر عبد الله ، نفس المصدر، ص140

إن الوقوف على تطور الصراع داخل الحزب الدستوري لابد الوقوف على المؤتمر الوطني الخامس بمدينة بصفاقس الذي يعتبر منعرج في مسار الحزب، الذي أطلق عليه تسمية مؤتمر البعث، لكن سرعان ماتم تعديل هذه التسمية لسبب إيديولوجي واضح وتفاديا للخلط بين فكر الحزب الحر الدستوري وفكر الحزب البعث القومي العربي

جاء مؤتمر صفاقس ليحسم الصراع حول الزعامة بين بورقيبة وصالح بن يوسف، هو صراع تعود جذوره إلى تبعات استقالة محمود الماطري من رئاسة الحزب13جانفي1938 التي بقيت شاغرة، وآلت النيابة إلى الحبيب ثامر.

إن المتأمل في الإطار التاريخي الذي حف بنشأة الصراع اليوسفي البورقيبي على الزعامة وتطوراته يتبين أن هجرة بورقيبة إلى الشرق في مارس1945 لتدويل القضية التونسية في جامعة الدول العربية، وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة1947 ومانتج عنه من خيبة أمل شكل دافع للصالح بن يوسف ليشرع في عملية تجاوز بورقيبة ، إن توجه الصالح بن يوسف القومي التحرري وتطور الأحداث على الساحة العربية والعالمية جعل منه توحيد العمل الثوري مع جمال عبد الناصر وأحمد بن بلة لإعداد للثورة وتصفية الاستعمار من شمال افريقيا حيث انضم إلى خطة عبد الناصر الداعية إلى توسيع رقعة الحرب في كل شمال افريقيا[1].

أدى الدعم المصري لصالح بن يوسف إلى تحويل النزاع بين الزعيمين إلى نزاع مسلح وحدوث عدة اغتيالات، وفي الوقت نفسه مثلا الخلاف بينهما خطرا شديدا على فرنسا لأنها تعد بورقيبة رجلا معتدلا، بينما صالح بن يوسف متشددا، ولأن هذا الخلاف سيلقي بظلاله على العلاقات التونسية الفرنسية، لذا طالبت الحكومة الفرنسية بأن تكف مصر عن تأييد ودعم الثوار، لأن فرنسا لاتريد أن يلتحم العمل الثوري بين الجزائر وتونس، وكما أنها لاتريد أن تصبح تونس مركزا للأفكار القومية الناصرية[2].

---

[1] الهادي البكوش ، **شهادات على الاستعمار و المقاومة في تونس و الجزائر و المغرب** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2013، ص195

[2] رضا الزواري، **الصراع الطبقي في تونس** ،المطبعة المغاربية للنشر و التوزيع ، صفاقس ،2009 ، ص 20

لقد عملت فرنسا على توطيد العلاقات مع بورقيبة الذي كان يرى أن إقامة علاقات متينة معها أفضل بكثير لتونس، وأن مايربط الأخيرة بالعرب ليس إلا من قبيل الذكريات التاريخية وأن من مصلحتها في نظره أن ترتبط بالغرب وبفرنسا بصورة خاصة قائلا: إن مرسيليا أقرب إلى تونس من دمشق أو القاهرة، وإن اجتياز البحر المتوسط لأسهل اجتياز الصحراء الليبية[1].

لقد ترتب على الصراع اليوسفي البورقيبي نتائج وخيمة على الصعيد الداخلي حيث كانت هناك العديد من الخسائر البشرية، إذ أسفرت الاشتباكات التي اندلعت في أواخر أكتوبر1955 إلى 1956 عن مقتل أكثر من ألف شخص أي ضعف ما قتل من التونسيين خلال الثورة الأولى1952-1954.

إن الصراع أدى إلى انشقاق في الحزب الدستوري إلى صفين كل واحد يسعى لإزاحة الآخر، فالأزمة هذه أفرغت الحزب من قواعده لتكون الحركة اليوسفية أول نواة للمعارضة لما بعد الاستقلال.

وهكذا نصل أن صالح بن يوسف وبورقيبة وجهان لعملة واحدة، الحزب الحر الدستوري الجديد، والوجهان يعملان لنفس الغاية خدمة للقضية التونسية أساسا وجه باتجاه الغرب يغزل فرنسا والحلف الأطلسي، ووجه آخر باتجاه الشرق يغازل مجموعة باندونغ مناديا بالانضمام إلى جامعة الدول العربية[2].

المبحث الثاني: إشكالية الاستقلال والمقاومة

إن مقاومة المد الاستعماري، عمل شرعي يتماشى مع مبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها وهذا ما طرحه الوطنيين العرب في مؤتمر الصلح1919 على الهيئة الأممية بعد الحرب العالمية الأولى، فكل شعب له الحق في الحرية والاستقلال والسيادة وتقرير المصير ومقاومة المعتدي.لقد تعلق التونسيون بمبدأ الاستقلال تعلقا شديدا وانعكس ذلك على فكر وعمل الحركة الوطنية التي عرفت صراعات داخلية هامة في ذلك الشأن كما عرفت تحولات كبرى مصدرها تشابك التحولات التي

[1] الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 130

[2] عروسية التركي ، المرجع السابق، ص436

عرفتها البنية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المجتمع التونسي بتأثير تنامي دائرة الاقتصاد الرأسمالي والاستعماري وبروز قوى اجتماعية جديدة ودخولها معترك الصراعات من أجل حقوقها ومصالحها.

لقد عمل عبد العزيز الثعالبي في أوت1919 في باريس أثناء مؤتمر الصلح بالتعريف بالقضية التونسية في الأوساط السياسي، فقاد الثعالبي الوفد التونسي المكن من أعيان تونس إلى المؤتمر، وقدم مذكرة شفوية شرح فيها الوضعية السياسية التي آلت إليها تونس بعد فرض الحماية الفرنسية عليها وأشار إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتذكير بالمجهود التونسي خلال الحرب العالمية والتضحيات التي قاموا بها[1].

وكان من أبرز المطالب في المؤتمر قائمة على إصلاح الأوضاع وإنشاء مجلس تفاوضي يتكون من التونسيين والفرنسيين منتخبين وضرورة التفريق بين السلطات التشريعية و التنفيذية والقضائية[2]، وارتقاء التونسيين إل كافة المناصب الإدارية، وقد طالبوا بضرورة المساواة بينهم وبين الموظفين الذين لهم نفس الكفاءة ويشغلون نفس الوظائف بالإضافة إلى تنظيم البلديات منتخبة بالاقتراع.

لقد كان توجه الثعالبي إصلاحيا رغم أنه كان يعلم أن مطالبه لن تتحقق حيث جاء على لسان حسن القلاتي في آخر مقابلة بينه وبين الثعالبي في جويلية1919 ((فيقول جاء يزوروني الثعالبي قبل سفره بأيام إلى باريس فتحدثنا طويلا، وتناول هو بصورة خاصة أفكار ويلسون، فألقيت عليه هذا السؤال: هل تظن أن بنود ويلسن ممكنة التطبيق على المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا؟

فأجاب لست طفلا، ولكنني أعتزم الاعتماد على تلك المبادئ لعرض وضعيتنا ومطالبنا على السياسيين الفرنسيين، فقلت له: في هذه الحالة لا يسعني إلا أن أوافقك على ذلك.

لقد استطاع الثعالبي عرض القضية التونسية والتعريف بها من خلال كتاب تونس الشهيدة هذا الكتاب كان عبارة عن عمل جماعي ساهم في إنجازه نخبة من الوطنيين التونسيين حيث احتوى

[1] غيلان سمير طه التكريتي، المرجع السابق،ص186

[2] عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة** ، ترحمادي الساحلي،دط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1984،ص143

على أفكار وملاحظات العديد منهم كانوا خريجي الزيتونة، وتشبعوا بالثقافة العربية والإسلامية وتفاعلوا مع الحركة الإصلاحية في المشرق العربي[1].

لقد كان كتاب تونس الشهيدة رغم مطالبه الإصلاحية إلا أنه عرض فكرة جديدة ذات بعد استقلالي رغم أن هذه المطالب كانت تقتصر على إرساء الاستقلال الداخلي والتركيز على المطالبة بدستور يضمن حقوق التونسيين ويمكنهم من تسيير شؤون بلادهم باستثناء السياسة الخارجية التي بالنظر بمقتضى معاهدة الحماية الممضاة بقصر باردو إلى الحكومة الفرنسية.

لقد حدث تباين في الأفكار بعد فشل النخبة التونسية وفقدان الأمل لتنقسم بين أعضائها توجه ثوري سيطر عليه أصحاب فكرة الجامعة الإسلامية فدعوا إلى الاستقلال الكامل ومعادة الفرنسيين وكان بقيادة محمد باشا حانبه، أما الإصلاحيين كانوا ينادوننا بالمساواة في إطار الجمهورية الفرنسية بقيادة حسن القلاتي وتيار معتدل يسعى إلى النهوض بالتونسيين ومشاركتهم في إدارة شؤون البلاد في ظل الحماية ويمثله فرحات بن عياد وعلي كاهية والشاذلي القسطلي[2]، ليتجه الثعالبي إلى أخذ موقف وسطي بين الاعتدال والتطرف بعدما كان يطالب بالاستقلال التام، لكنه عدل عن هذه السياسة لعدم جدواها فسلك بدلا من ذلك منهج الإصلاح[3].

لقد استطاع عبد العزيز الثعالبي تأسيس حزب الحر الدستوري والذي يعد امتدادا لحلقة تونس الفتاة، حيث ركز البرنامج الذي دعا إليه حول تأسيس مجلس تشريعي وتأليف حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس، بالإضافة إلى ذلك دعا إلى تكوين جيش وطني واستعادة الأراضي المصادرة من قبل السلطات الفرنسية.

إن الفكرة الاستقلالية عند الثعالبي كانت ذات بعد وحدوي في إطار الوحدة العربية الإسلامية، لقد كان الثعالبي يحمل في نفسه عداء تاريخيا للاستعمار الفرنسي ولم يفتأ يندد بسياسة الاستبداد الفرنسية المطبقة في تونس ووصل إلى الاقتناع بأنه لا يمكن تصور سلامة تونس بعدما بلغ

---

[1] زهير الداودي، **الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي**،د-ط، دار نقوش عربية، تونس،2014،ص80

[2] خليفة الشاطر، المرجع السابق،ص ص85-87

[3] يوسف مناصرية ، مرجع سابق، ص ص78-79

الاستبداد الاستعماري ذروته إلا في إطار توحيد مصيرها بمصير أشقائها في الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا وموريتانيا وتوحيد المغرب العربي من المحيط إلى الحدود المصرية من البحر المتوسط إلى أعماق الصحراء[1].

إن البعد الاستقلالي التونسي كان وحدوي نظرا للمصير المشترك للدول العربية الأخرى وخصوصا أن الثعالبي خلال المدة التي قضاها خارج تونس استطاع التعرف على العالم من تونس حتى الهند ومشاركته في المؤتمر الإسلامي بالقدس1933 كان له تأثير على النظرة الاستقلالية والبعد الوحدوي الاتحاد في منظومة تجمع بينها اللغة والدين ومصير مشترك.

إن نظرة الثعالبي سوف تستمر في نهج جديد وجيل جديد يكون الصالح بن يوسف زعيما له كان الوطنيون التونسيون قد عقدوا العزم على التصدي للقمع الاستعماري المتزايد، وانطلاقا من هذا الأساس شرع فريق من الوطنيين بعضهم يناضل في صفوف الإتحاد العام التونسي للشغل وبعضهم في صفوف الحزب الدستوري الحر التونسي في تنظيم العمل المسلح[2]

وقد وجدت المقاومة عقلها المدبر عندما رجع الحبيب ثامر[3] من فرنسا، فأخذ قيادتها ونظم الحركة الوطنية خفية وشكل شعبا سرية للحزب، واقتنع الحبيب بورقيبة بأن قضية تونس لن تعرف ولن يعتني بها ما لم يضطرب الأمن بصفة واضحة فالمعركة تحتاج إلى سند الكفاح بمختلف أشكاله وهكذا استعد الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد إلى الكفاح، وهكذا نظم الشعب حركة مقاومته بجانب الحزب وتكونت الجمعيات السرية التي بدأت تدعو إلى المقاومة العنيفة، وقد أعد الزعيم الحبيب بورقيبة بالتشاور مع مناضلي الحزب بالقاهرة(الطبيب سليم والرشيد إدريس ومراد بوخريص والناصر بلوزة) الخطة التحريرية قبيل رجوعه إلى تونس سنة 1949م، وكانت خطة الدفاع تقتضي الاستفادة

---

[1] يوسف مناصرية، مرجع نفسه،ص28

[2] الطاهر عبد الله، مصدر سابق، ص103

[3] الحبيب ثامر(1909-1941) زعيم سياسي ومناضل ولد بتونس، زاول تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية ثم سافر إلى باريس والتحق بكلية الطب وتخرج منها متحصلا على شهادة الدكتوراه في الطب، انتخب بباريس رئيسا بجمعية طلبة شمال افريقيا/ عاد إلى تونس عام1938، وإثر اعتقال السلطات الفرنسية لقادة الحركة الوطنية عمل على تنظيم حركة الكفاح السري، ألقي عليه القبض يوم18فبراير1942بتهمة التآمر على أمن الدولة.... توفي يوم13ديسمبر1949، أنظر محمد محفوظ، المرجع السابق، ص213

من رصيد المتطوعين التونسيين في حرب فلسطين، وقد التحق بعضهم بالجيوش المصرية واللبنانية والسورية حيث تدربوا على العمل العسكري، وأوكل الحبيب بورقيبة إلى المناضلين، مراد بوخريص، علي الزليتني عبد العزيز شوشان مهمة تكوين خلية مقاومة في طرابلس، وقد تكونت هيئة قومية للمقاومة يشرف عليها المناضل النقابي الدستوري أحمد التليلي وعينت هذه الهيئة السرية عشرة نواب للجهات كلفوا بتنظيم العمل المسلح، وانطلقت المعركة الحاسمة يوم15ديسمبر1951 وكانت بمثابة رد فعل مباشر على مذكرة 15ديسمبر1951 التي رفضت مطالب الشعب، واستعد الحزب الحر والمنظمات القومية للمواجهة، وبدأت حملة الاحتجاجات وقرر الحزب الإضراب العام لمدة ثلاثة أيام من 21-22-23 ديسمبر وأظهر الشعب استعداده لرفع التحدي أمام سلطة الحماية، وبدأ الديوان السياسي ينظم العمل النضالي ويوجه المظاهرات، وقد التحق بالجبال فريق من المتطوعين الذين جندهم أحمد التليلي وباشر تدريجهم في جهة قفصة.

وكانت تونس تمر بفترة صعبة منذ جانفي 1952، وقد عرفت هذه الفترة ظهور حرب عصابات كاسحة في المدن والأرياف، وحدوث اغتيالات وعمليات تخريب وأعمال انتقامية دموية[1]، بدأت بأعمال فردية التي اعتمدت على وضع القنابل(من مصنع محلي) والاغتيالات سواء الفردية أو ضمن مجموعات صغيرة وهكذا تواصلت المقاومة واتخذت أشكال متنوعة حسب تطور الظروف في الداخل، وسرعان ما تحولت المقاومة من إضرابات ومظاهرات وحرب عصابات إلى مقاومة مسلحة في المدن والأرياف[2].

وكان رد فعل السلطات الاستعمارية متمثلا في تنظيم حركة إرهابية مضادة بواسطة منظمة تدعى اليد الحمراء وقد عمدت إلى اغتيال عدد كبير من القادة والمناضلين الوطنيين في مقدمتهم الزعيم النقابي فرحات حشاد الذي اغتالته يوم05ديسمبر1952[3]، وإثر هذه الأعمال اشتد غليان الشعب التونسي، واشتدت معه حركة المقاومة المسلحة حيث بدأ التحاق أفواج من المناضلين بالمجاهدين المعتصمين بالجبال وعملوا على تنظيم قواتهم وانبثق عن هذا التنظيم جيش التحرير

[1] الباجي قائد السبسي، **الحبيب بورقيبة المهم والأهم**، تر: محمد معالي، دار الجنوب، تونس،2011،ص37

[2] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص674

[3] حسن حسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص173

التونسي سنة1952 بقيادة الطاهر الأسود وقد أشرف قادة عينهم الحزب الدستوري الحر على تقسيم المقاومين إلى مجموعات وقد بلغ عدد المجاهدين سنة1954 إلى 6000مجاهد، وقد تزامنت هذه الأعمال مع فتح المفاوضات التونسية الفرنسية، وإثر ذلك خمد لهيب الكفاح بانتظاره ما تفرزه المفاوضات المفتوحة، ونتيجة لفشل هذه الأخيرة بسبب مراوغة الطرف الفرنسي نشطت حركة المقاومة، وتكثف قدوم المدد من معسكر التدريب بطرابلس ودعم الثوار مراكزهم في الجنوب من جبال مطماطة إلى الجريد وجهة قفصة، وأخذوا يتقدمون نحو الشمال من السباسب العليا قرب قصرين إلى الكاف ومكثر، وقد كان لانتشار فرق المقاومة المسلحة واتجاهها إلى الشمال يندرج وفق خطة سياسية تمنح الأولوية لتهديد المصالح الاستعمارية وعرقلة النشاط الفلاحي للمعمرين، ومع تواصل المفاوضات ودخولها في مرحلة حاسمة طالبت الحكومة الفرنسية في جويلية1954 الزعيم لحبيب بورقيبة تحرير نداء إلى التونسيين يطلب منهم إيقاف أعمال لكنه رفض لعدم مرافقته لقرارات سياسية حاسمة، ونجحت المقاومة بفضل تكيفها بحسب متطلبات الفترة، وقد نشرت الصحافة بتونس يوم 23جويلية1954.

إن المقاومة التونسية قامت بحوالي 150عملية أثناء04 أشهر (20مارس-20 جويلية 1954) وتواصلت المفاوضات التونسية الفرنسية وتجنبا للمواجهة ابتعد المقاومون عن المدن والجهات الساحلية حسب تعليمات الحركة الوطنية في انتظار حسم الأمر في المناطق الجبلية[1]، لكن القوات الفرنسية واصلت ملاحقتهم فتواصلت المعارك طيلة شهري أكتوبر ونوفمبر، ويذكر الباجي قايد السبسي أنه في شهر نوفمبر1954 دعا منداس فرانس الحبيب بورقيبة للاتفاق معه على إنهاء أجواء العنف الذي كان لا يزال يهز الأرياف التونسية، ووعيا من بورقيبة بالدور الحيوي الملقى على عاتقه ضمن العملية التفاوضية عامة، طرح مبدأ الحصانة القانونية للمقاومين التونسيين، وقد أصدر منداس فرانس أمر للمقيم العام الجنرال بوييري لاتور تسليم اللجان المكلفة بنزع سلاح المقاومة شهادات الأمان[2]، وفي23نوفمبر وجه بورقيبة نداء رسميا إلى المقاومين في المدن والأرياف لتسليم أسلحتهم للحكومة التونسية، وقد كان الباجي قائد السبسي أحد المكلفين بجمع الأسلحة من منطقة القصرين[3]

[1] عروسية التركي ، المرجع السابق ، ص 277

[2] عروسية التركي ، المرجع نفسه ، ص ص 272 -274

[3] الباجي قائد السبسي، مصدر سابق، ص38-39

وقد أحصت اللجان 2713مقاوما قدموا 2144 بندقية قديمة، مما يبين أن الحركة الوطنية حرصت على إخفاء العتاد العسكري الجديد توقعا لفشل المفاوضات، ويذكر أحمد المسيتري أنه استجاب لنداء الحزب كل المقاومين باستثناء القائد الطاهر الأسود بسبب دوافع شخصية وسياسية.

لقد عمل الساسة الفرنسيين على استدراج الحزب الدستوري الجديد وأخذوا بيده في طريق الإصلاحات ثم التزام بانجاز استقلال تونس الداخلي أن السلاح التحرر الحقيقي بيد الشعب التونسي وهو يتطلب نبذ كل سياسة إصلاحية لأنها لا تجر وراءها إلا الخضوع ويتطلب كذلك التضامن التام في أهداف الكفاح ووسائله بين شعوب المغرب العربي[1].

المبحث الثالث: إشكالية النظام والهوية.

بعد فرض الاحتلال الفرنسي غذت الحكومة التونسية- الباي ورجال السلطة العليا- مجرد واجهة شكلية للحكم الوطني، وأصبح منصب المقيم العام وهو-موظف يمثل الحكومة الفرنسية في تونس- ومساعديه من المدنيين والعسكريين هم الحكام الفعليين للبلاد وفي كافة المجالات وكان من اختصاصات المقيم العام التوجيه والإرشاد في إدارة سياسة البلاد الداخلية، إلا أن الأمر اختلف بعد ذلك ، إذ أصبح المقيم العام صاحب الكلمة الأولى في تونس، لاسيما بعد معاهدة المرسى والتي كانت صريحة في فرض الاحتلال، إذ كان هدفها منح صلاحيات أكبر لفرنسا لتكريس احتلالها لتونس في كافة المجالات[2]، أتت فرنسا إلى تونس فوجدت حكومة شرعية رئيسها الأعلى هو الباي، وإلى جانبه مجلس وزراء يقوم بالسلطة التنفيذية في البلاد ومجلس تشريعي وهيئة قضاء منظمة وكان هذا النظام الديمقراطي يقوم على أساس الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ويخول المجلس التشريعي حقوقا واسعة منها حق خلع الباي إذا خالف نصوص الدستور[3].

---

[1] محمد المتيجي ، جريدة المنار ، ع 15 ،السنة 1 ، الجزائر ، 1952 ، ص4

[2] -Rounard Docard .Latorque et le Peotectorate francisen Tunisice 1881-1913.paris 1916.p 18.

[3] الحبيب تامر ، المصدر السابق ، ص 31

بمجرد اغتصاب فرنسا الحكم أسرعت إلى تفويض دعائم هذا النظام الديمقراطي، حيث عطلت فرنسا حركة النهضة وحرمان التونسيون من الحكم النيابي الديمقراطي الذي تمتعت به تونس في عهد ما قبل الحماية[1].

لقد كان النظام الملكي هو السائد في تونس حيث حكمت الدولة الحسينية قرابة250عام، شهدت خلالها البلاد في النصف الأول ازدهار وتطورا وإصلاحات حثيثة لإلحاق تونس بركب الدول المتقدمة، التي توجها إعلان عهد الأمان أول دستور مكتوب في العالم العربي في عهد أحمد باي، غير انهيار الدولة الحسينية واتساع الهوة بين البايات والشعب وأصبح الباي هو الحكم الوحيد ودخل الحكم في البذخ والترف متسببا في العديد من الأزمات التي عصفت بالبلاد وقوعها في الحماية الفرنسية.

عمل الدستوريون منذ بداية أمرهم على احترام الأسرة الحسينية، وتعاونوا مع الباي محمد الناصر على تحقيق مطالبهم، وساندوه في محنته 1922 حين تنازل عن العرش حتى أن برنامجه الذي قدمه1922 إلى المقيم العام جاء مطابقا في مجمله لبرنامج الحزب الدستوري وقد اعتبر محمد الحبيب ولى العهد الحزب الدستوري حزبه، وساهم فيه ودعمه ماديا ومعنويا وأدبيا، وانضم إليه بعض أفراد الأسرة الحسينية، غير أن محمد الحبيب لما صار بايا نقض عهده مع الدستوريين ووقف ضدهم واتبعه خليفته أحمد الباي، ومع ذلك فإن الدستوريين لم يقطعوا صلتهم بالأسرة الحسينية بل بقيت في نظرهم رمزا من رموز الوحدة الوطنية، واعتبرها سلطة شرعية في تونس تخدم مصلحة الشعب وتحافظ على وحدته، فكانوا ينظرون إلى حكومة الحماية نظرة عدا وسخط واعتبروها مصدر تمزيق وحدة الشعب[2].

لقد قام الباي بدور في الحركة الوطنية التونسية حيث كان يمثل السلطة الرسمية ورمز الدولة التونسية الحقيقية من جهة، ومن جهة ثانية اليد التي كانت التي تساعد الإدارة الفرنسية لتكريس أهدافه وسلطتها في تونس.

---

[1] يونس درمونة المرجع السابق ،

[2] يوسف مناصرية ، **الحزب الحر الدستوري التونسي 1919–1934** رسالة ماجستير : جامعة الجزائر معهدالتاريخ ، اشراف ابو القاسم سعد الله ، 1986 ،ص 285

كان الباي محمد الأمين البالغ من العمر نحو76سنة والذي أمضى15سنة على عرش قد أصبح يمتلك المجد، لكنه لايملك القوة، ففي عهد الحماية كان يمتلك بعض القوة والشرعية، ولكن بعد الاستقلال فقد جزء من هذه القوة والشرعية حيث عمل بورقيبة على تطويق سلطان الباي حيث أصبح شبه معزول لتفتح تونس عهد جديد يكون بورقيبة الرجل القوي بلا منازع[1].

أن مفهوم الهوية هو مفهوم خلافي بين الباحثين، ومن مرحلة إلى أخرى لكن أكثر أهمية في تاريخ المفهوم للهوية هو ذلك المزج بين الهوية الثقافية والهوية السياسية الذي بات معتقدا لدى الكثيرين، مما يدفعهم إلى المطالبة بإنشاء كيانات سياسية لتلك الهويات الطائفية والدينية علاوة على الكيانات القومية والوطنية، ويرتبط مفهوم الهوية بتعارف جماعة معينة على أنها مجموعة متجانسة محليا أو مهنيا، أو دينيا أو قوميا، فهو وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي، ويمكنها تحدد توجهات الناس وأهدافهم وتدفعهم إلى العمل معا في تثبيت وجودهم، والمحافظة على منجزاتهم، وتحسي وضعهم وموقعهم في التاريخ، إنها إحساس الإنسان ووعيه بالانتماء إلى مجتمع أو أمة أو جماعة[2].

إن الوقوف على إشكالية الهوية يضعنا في إشكال بنائها بين الهوية القومية والهوية الثقافية والهوية الدينية التي رسمت صورة تونس الحديثة، حيث أصبح مشكل هوية الشعب التونسي مطروحا منذ موجة التحديث و انقسام النخبة التونسية إلى فريقين ظل الصراع قائما بينهما يحتد حين و يخفت حين آخر فريق يعتبر تونس شرقية الروح و يصر على التمسك بالتراث ، لكن مع تقديسي و غير نقدي و مناهض بطريقة أخرى للعالم الغربي و لحضارته و يعتبر أن تونس وليدة حلول الإسلام بها ، وفريق يعتبر أن تونس مطالبة بالانخراط في الحضارة الكونية الحالية ، وهو مناهض بطريقة أو بأخرى لتراثه أو يحتقره أو يعتبره عبء ولا يرغب في الاطلاع عليه.[3]

تعتبر الزيتونة المركز الثقافي الديني للمغرب كله ، حيث كان الحصن الحصين للثقافة العربية و الإسلامية ، و الروح العربية الإسلامية ، ومعقلا للحركة الوطنية في تونس وقد عجز الفرنسيون عن

---

[1] الصافي سعيد ، **بورقيبة سيرة شبه محرمة** ، رياض الريس للكتب و النشر ،ط1 ، تونس 2000 ، ص 209

[2] سالم لبيض، المرجع السابق ، ص32

[3] – الهادي التيمومي، المرجع السابق ، ص7

التدخل في شؤونه أو التسلل الى أموره و ثقافته ، لا بل كان جماعة الزيتونة من أشد المواطنين عداء للفرنسيين و حملوا شعلة التحرر الوطني في المغرب العربي مع محافظتهم على تراثهم ولغتهم و تمسكهم بدينهم .

لقد كان جماعة الزيتونة أشد المدافعين على الانتماء العربي الإسلامي و هوية المجتمع التونسي، وكان الاختلاف ظاهرا بين عقلية رجال الزيتونة و عقلية المثقفين الجدد الذين تعلموا في فرنسا ، واقتبسوا بعض العادات و التقاليد الغربية ورأوا تحويل البلاد الى الطابع الغربي، فرجال الزيتونة يتهمون هؤلاء بالتضليل ، بينما الرجال الذين تعلموا في فرنسا و تأثروا بها يتهمون جماعة الزيتونة بالجمود و الرجعية[1] .

إن التفكير النخبة المستغربة المنبهرة بالحضارة الغربية، كان تفكيرهم يصعب على الشعب التونسي البسيط تقبله خصوصا الفارق الثقافي واضح بين من تعلم في المدارس العربية الإسلامية و من تشبع بالفكر الغربي و اعتنق كل مبادئ الحضارة الغربية.

لقد كان انتصار التيار الليبرالي المتشبع بالفكر الغربي ، إذ لعبت اختبارات بورقيبة التحديثية دورا لا يستهان به في خلق نخبة علمانية ففي ما يتعلق بالجانب الديني عمد بورقيبة كما هو معلوم إلى تحييد المؤسسة الدينية و تهميشها عبر جملة من القرارات و المبادرات :

- غلق جامعة الزيتونة التي كانت ركيزة الثقافة العربية الإسلامية.
- تحويل الكثير من المساجد والزوايا إلى دور الشباب وحتى إلى مساكن خاصة، وقد بلغ الأمر منتهاه في خطاب بورقيبة عندما دعا فيه التونسيين عدم الصوم في رمضان، أما ثقافيا واجتماعيا فقد غرس في الشباب فكرة تقديس الغرب وخاصة فرنسا.إن هذه القرارات أثرت على الهوية التونسية وخلع لباس العروبة والإسلام من نفوس الشعب لتتحول تونس إلى دولة علمانية مدنية[2]

[1]- زاهية قدورة، المرجع السابق ، ص474

[2]- محمد الرحموني ، العلمانيون في تونس صراع الفكر و السياسة ،ط1 ، مركز نماء للبحوث و الدراسات ، بيروت، 2013 ، ص ص84 ،86

خاتمة الفصل الثاني

استطاع الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية بناء الوعي الوطني اتجاه القضايا التي واجهه المجتمع التونسي خلال الحقبة الاستعمارية. فالتباين بين الأفكار والمرجعيات الفكرية والسياسية كان عاملا أساسي في بلورة هذا الوعي فكان له الدور الكبير في تنوع سواء في الطرح أو المعالجة، أما فيما يخص الصدام فهو يرجع إلى جدلية إثبات الذات بين قوة الفكرة والأقوى فقوة الفكرة ترجع إلى القواعد التي استطاعت بنائها في المجتمع ومدى تشبع المجتمع والنخبة بها .

عند الوقوف على الخلاف بين الثعالبي وبورقيبة يظهر لنا ذلك التباين بين توجه بين الغرب والشرق بين روح الأصالة وروح المعاصرة بين التجديد والمحافظة بين مواكبة ركب روح العصر أو إحياء الإرث القديم إعادة بناء المجتمع في وعي وطني يهوى التحرر هذا الخلاف كرس الروح التحررية التي تطالب بالاستقلال

لكن عندما نقف على الخلاف بين الماطري وبورقيبة تتجلى لنا مسألة جوهرية وهو الخلاف كان قائم على فكرة الزعامة والقيادة فكرة إدارة الحرب وفق توجه القائد بورقيبة لكن هذا الصراع يشتد عندما يتشبع بروح القومية العربية وروح الاستقلال والمقاومة الذي تزعم هذا التيار الصالح بن يوسف ليدخل الحزب الدستوري صراع من نوع جديد بين قوتين تتصارع من أجل إدارة شؤون تونس فحسب بل هذا الصراع كان من أجل رسم هوية وطن أو دولة جديدة فحسب مفاهيم القائد – بورقيبة– وصراع رفض الرضوخ للمفاوضات التي تجعل من تونس تستمد سيادتها في إطار قيود (استقلال منقوص)

إن قوة الإيديولوجية و الإيديولوجية الأقوى هي التي تدفع بالمجتمع إلى الأحسن

خاتمة

وانطلاقا مما سبق بحثه في هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

– لم تتكون الحركة الوطنية من العدم، ولم تتولد بين عشية وضحاها، بدأت نهضة تونس منذ عهد الأمان الذي يعتبر إعلانا لحقوق الإنسان وللمبادئ الديمقراطية من مساواة بين الأفراد وحرية شخصية وحرية الأديان وعدالة الجبايات والذي كان مقدمة للدستور التونسي الصادر في1860.

يعتبر هذا الدستور نواة النهضة والتقدم الذي فتح الباب لتونس نحو الحداثة ولتكون بذلك جذورا للوعي الوطني وانفتاح على روح العصر ، غير أن الحماية الفرنسية على تونس أيقضت الوطنية والتحرر من قيود المستعمر.

إن القضية الوطنية وحدة لاتتجزأ رغم الاختلافات التي ظهرت في التشكيلة السياسية في تونس بين العهد القديم والجيل الجديد، وأن الإصلاح في أي ميدان من الميادين مستحيل مادام نظام الحماية الاستعماري قائم الذات، فإن الحركة الوطنية قامت على مبدأ أساسي وهو الاستقلال، ويتمثل الاستقلال بالذات في إلغاء معاهدة الحماية التي مكنت الأجنبي من السيطرة على البلاد، وتوحدت الجهود كلها إلى إزالة الحكم الفرنسي المباشر، فالحكم الأجنبي هو السبب الرئيسي في بطء نهضة تونس، وهو السد المنيع بينها وبين النهضة الشاملة التي تمكننا من الالتحاق بقافلة الأمم المتمدنة

– نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ونمو الوعي الوطني لدى التونسيين شهدت تونس مع بدايات القرن العشرين حركة وطنية قادتها أحزاب سياسية انتهجت تيارات مختلفة للدفاع عن القضية الوطنية

– تعددت مشارب تيارات الحركة الوطنية ساعية نحو تحقيق هدف واحد، فالتيار الليبرالي تمكن من احتواء العديد من الشخصيات ودافع على القوى العمالية المقهورة ،أما التيار الشيوعي ارتبط كل الارتباط بالتيار الشيوعي العالمي وبالخصوص بالتيار الشيوعي في فرنسا فكانت قوته مرهونة بقوة المركز في فرنسا لذلك لم يتمكن من تكوين قاعدة شعبية تدعم مبادئه رغم أنه كان في وفاق مع الحزب الدستوري.

بينما شكل التيار الإسلامي قوة لم يبرز كحزب مثلما هو عليه اليوم (حزب النهضة) بل كان تيارا يواكب موجة الأفكار المشرقية – الجامعة والوحدة العربية– أن هذا التيار سيولد من جديد في تونس بعد الاستقلال لتكون له قاعدة شعبية أكبر.

- إن الصراع الإيديولوجي كان في واقعه بين فكرة الحداثة الأوربية المشبعة بكل ماهو أوروبي وتيار إصلاحي ذا بعد محافظ على التراث العربي الإسلامي.

- إن التيارات سواء القومي أو التيار الإسلامي والتيارات الأخرى تستعمل في الخفاء وتحاول اثبات وجودها من جديد وكلما أتاحت لها الفرصة وأن التيار الإسلامي في المرحلة 1934م-1956م لم يكن مهيكل بما فيه الكفاية لكن بعد الاستقلال سيظهر كقوة جديدة تأثر في معالم الدولة التونسية

- تمكن التيار الليبرالي من تكوين قاعدة شعبية كما حاول القفز بالمجتمع التونسي إلى مجتمع متحضر، يحاول الانسلاخ من كل ماله علاقة بالإرث التاريخي القديم وهذا مايظهر من خلال الأفكار التي أسس لها بورقيبة في نظرة لتونس الحديثة من خلال الفكر التحرري للمرأة وقانون الأحوال الشخصية والثورة التي انتهجها على التعليم من خلال وضع حد للتعليم الزيتوني، هذا الأخير كان بمثابة حلقة الوصل بين الماضي والحاضر بين الأصالة والمعاصرة بين العربي الإسلامي والانفتاح الحداثي.

- أثر نشاط الحزب الدستوري في إيقاظ الوعي عند الفرد التونسي وتبديل نفسيته حتى أيقضه ودربه وكونه تكوينا اجتماعيا وسياسي ونقابيا عارفا بواجباته وحقوقه، مميزا لأدق المواقف السياسية متفطنا لألاعيب الاستعمار وأذنابه وهذا ما أكده الصحفي الفرنسي جان روس في قوله: ((ما أغرب ما أحدثه الحزب الدستوري بتونس أنه كون رجالا أحرارا مستقلين في تفكيرهم في بلاد لاتتمتع بالحرية ولابالاستقلال. وقد كانت الثورة الوطنية الكبرى في النفوس والعقول، حيث قال الكاتب الفرنسي جورج ديهاميل: إن تونس أثينا العالم الشقي لما شاهد في أهلها من اتزان في الأفكار ومرونة في العقل وتناسق في الأجواء وسهولة على هضم المدينة الأوروبية من غير أن ينصرفوا من مدينتهم العربية الإسلامية.

- شهدت تونس منذ بداية عام 1934 خلاف بين القيادة الوطنية في صفوف الحزب الدستوري الحر،أدى إلى انقسام الحزب الدستوري إلى شقين وظهور الحزب الدستوري الجديد الذي أعلن عن تأسيسه بعد مؤتمر قصر هلال المنعقد بسنة1934، تعرض الحزب إلى هزات عنيفة تمثلت في حملة من الاعتقالات التي طالت رؤساء الحزب الحبيب بورقيبة، ومن هنا يمكن القول

إن النضال السياسي الذي بدأه علماء جامع الزيتونة بزعامة جمال الدين الأفغاني عام 1920 قد صودر بوصول نخبة مثقفة بالثقافة الفرنسية وعلمانية إلى مواقع التأثير في أهم حزب تونس، ومرد ذلك الخلاف بين الثقافتين أدى إلى اختلاف في منهج العمل وأسلوب التحرك السياسي وقد تمكن الحزب الدستوري الجديد من فرض نفسه على الساحة السياسية التونسية

– إن إشكالية الصراع التي تولدت داخل المسار النضالي في تونس يكمن في جوهره خلاف حول مسائل الحوار والنظرة المستقبلية لتوجيه مسار الحركة الوطنية نحو الهدف الأساسي ألا وهو الاستقلال هذا من جهة ومن جهة ثانية النظرة لرسم معالم الدولة الحديثة بعد الاستقلال بين التوجه نحو الشرق أو التوجه نحو الغرب.

– شكلت اتفاقية الحكم الذاتي عام 1955 التي منحت لتونس الاستقلال الداخلي، منعرج سياسي وتاريخي كبير في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، ومنها تفجر الصراع وبرز إلى الساحة أكثر من قبل بين الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد الذي كان من أشد المدافعين عن التسوية السياسية مع سلطات الاحتلال الفرنسي وبين جناح الصالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الحر الجديد الذي كان من أشد المعارضين لاتفاقية الحكم الذاتي

– إن الاختلاف حول طريقة التسيير واتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون الحزب الدستوري الجديد عجلت بانشقاق الحزب إلى طرفين وقد تجاوز الخلاف إلى التباين حول استراتيجيات العمل النضالي بين قيادة الحزب، وبهذا تفجر الصراع بين جناح بورقيبة رئيس الحزب الدستوري الجديد، الذي كان من أشد المدافعين عن التسوية السياسية مع الاستعمار الفرنسي، وجناح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الذي كان من أشد المعارضين لهذه التسوية، فقاد حركة مناوئة للبورقيبين ضمت تيارات فكرية وأحزاب سياسية ومنظمات نقابية وعناصر وطنية تؤمن بالكفاح المسلح، وقطاعات شعبية عريضة متناقضة مع نهج الحبيب بورقيبة المساوم مع الاستعمار الفرنسي

– إن رسم معالم الدولة الحديثة مربوط بالأساس بالتيار الأقوى الذي يمكن فرض نفسه سواء على المستعمر أو الذي تكون له قاعدة شعبية كبرى، وهذا ما نلاحظ في التيار الليبرالي بقيادة الحبيب بورقيبة، الذي كان له دورا كبيرا في طرح قضية الاستقلال بصراحة والمطالبة بها، وذلك بفضل سياسة المرونة التي اتبعها واستعمال الوسائل الدبلوماسية الكافية للتفاوض مع فرنسا.

- لقد استطاع هذا التيار بعد التوقيع على معاهدة الاستقلال أن يقطع شوط كبير في تعبير معالم الدولة من مملكة إلى جمهورية بعد إلغاء نظام الملكي في تونس ومن ناحية أخرى إلغاء طابع الدولة وهويته من توجه مغاربي إسلامي إلى توجه مدني في سياق العلمانية

- إن الدولة التونسية الحديثة التي عمل على بنائها الحبيب بورقيبة على قطع الصلة بين ماهو مشرقي والتوجه نحو أروبا وأخذ من تراثها المادي لبناء معالم المجتمع الحديث من خلال الإجراءات التي اتخذها في تحرر المرأة وقانون الأحوال الشخصية، إن هذه الاجراءات رسمت تونس الدولة المدنية الحديثة أما التيارات الأخرى فقد تم التطبيق عليها وخنقها من خلال سياسة الاعتقالات والاغتيالات التي انتهجت الدولة في المرحلة الأولى لها.

و في الأخير فإنني لا أدعي الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، بقدر ما أكون قد ألمحت إلى مجالات مختلفة فيه وحاولت قدر الإمكان على الإجابة على إشكاليات البحث والوقوف على اشكاليات أخرى تبقى محل البحث من خلال الدراسات الأكاديمية اللاحقة.

الملاحق

الملحق01/معاهدة باردو[1]

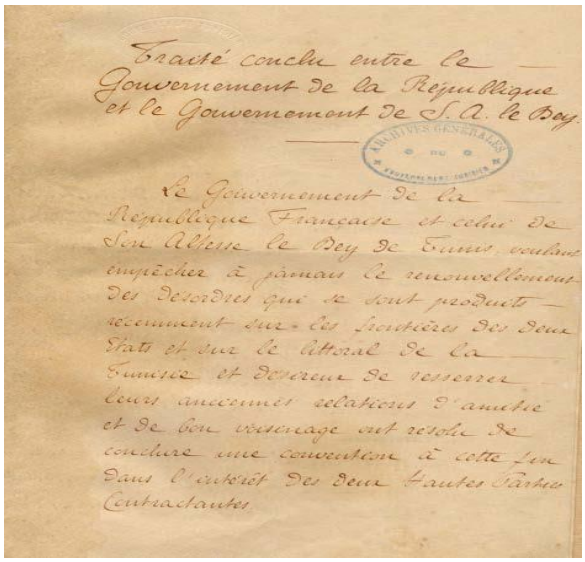

Traité conclu entre le Gouvernement de la République et le Gouvernement de S. A. le Bey.

Le Gouvernement de la République Française et celui de Son Altesse le Bey de Tunis, voulant empêcher à jamais le renouvellement des désordres qui se sont produits récemment sur les frontières des deux États et sur le littoral de la Tunisie et désirant de resserrer leurs anciennes relations d'amitié et de bon voisinage ont résolu de conclure une convention à cette fin dans l'intérêt des deux Hautes Parties Contractantes

ملحق02: معاهدة المرسى[2]

Convention entre la France et la Tunisie pour régler les rapports respectifs des deux pays.

S. A. le Bey de Tunis, prenant en considération la nécessité d'améliorer la situation actuelle de la Tunisie dans les conditions prévues par le traité du 12 Mai 1881 et le Gouvernement de la République reconnaissant à cette mesure de répondre à ce désir et de consolider ainsi les relations d'amitié heureusement existantes entre les deux pays, sont convenus de conclure une convention spéciale à cet effet. En conséquence, le Président de la

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص86
[2] خليفة الشاطر، المرجع نفسه، ص85

الملحق رقم03:بنود معاهدة باردو[1] 12ماي1881م

نص المعاهدة : الفصل الأول: إن معاهدات الصلح والمودة والتجارة وجميع الاتفاقات الأخرى الموجودة الآن بين دولة الجمهورية الفرنساوية وحضرة رفيع الشأن باي تونس تجدد وتؤكد بوجه صريح

الفصل الثاني: ولتسهيل إتمام الأعمال التي قصدت بها دولة الجمهورية الفرنساوية بلوغ الغرض الذي عزم عليه المتعاقدان رضيت حضرة رفيع الشأن باي تونس بأن السلطة العسكرية الفرنساوية تتبوأ الجهات التي ترى لزومها لتوطيد الأمن والراحة والشطوط وترحل عنها عندما يتبين للسلطة الحربية الفرنساوية والتونسية معا أن الإدارة المحلية قاضية بحفظ الراحة على الاستمرار.

الفصل الثالث: قد التزمت دولة الجمهورية الفرنساوية بأن تعين وتعضد على الدوام حضرة رفيع الشأن باي تونس لمنع جميع الأخطار التي تهدد ذاته وآل بيته أو التي تكدر راحة عمالته

الفصل الرابع: وتكلفت دولة الجمهورية الفرنساوية بإجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة الإيالة والدول الأوربية.

الفصل الخامس: ينوب عن دولة الجمهورية الفرنساوية لدى حضرة رفيع الشأن باي تونس وزير مقيم يراقب إجراء ماتضمنه هذا السجل ويكون واسطة في علائق الدولة الفرنساوة مع السلطة التونسية في جميع الأمور المشتركة بين البلدين

الفصل السادس: نواب فرنسا الدولية والقنصلية بالبلدان الأجنبية يكلفون بحماية مصالح تونس ورعاياها.والتزمت حضرة رفيع الشأن باي تونس بأن لاتعقد أدنى عقد يفهم منه التعاقد مع أجنبي بغير أن تعلم به دولة الجمهورية الفرنساوية وتتفاهم معها فيه من قبل.

الفصل السابع: لقد أبقت دولة الجمهورية الفرنساوية ودولة حضرة رفيع الشأن باي تونس تعيين وصول في تنظيم ماليةالمملكة يتفقان عليها بعد ليحصل بذلك الاطمئنان على أداء واجبات الدين العمومي والضمان لحقوق أرباب دين الإيالة التونسية.

الفصل الثامن: تجعل غامة حربية على العروش العاصية التي بالحدود والشطوط وبعد هذا يقع اتفاق في تعيين مقدارها وكيفية استخلاصها وتكون دولة رفيع الشأن باي تونس مسؤولة بذلك.

الفصل التاسع: ولوقاية بلاد الجزاير التي أملكها دولة الجمهورية الفرنساوية من جلب السلاح والذخاير الحربية كنترباند تعهدت دولة حضرة رفيع الشأن باي تونس بمنع إدخال الأسلحة والمهمات الحربية من جزيرة جربة ومرسى قابس وغيرها من المراسي التي بجنوب المملكة.

الفصل العاشر: هذه المعاهدة تعرض على مصادقة دولة الجمهورية الفرنساوية وسجل المصادقة يسلم في أقرب وقت ممكن لحضرة رفيع الشأن باي تونس.

[1] صلاح العقاد، المغرب العربي(دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت،ص ص190-191

حررت بالقصر السعيد في12ماي سنة1881 [1]

قصر السعيد 12ماي1881 محمد الصادق باي الجنرال بريار

الملحق04: بنود معاهدة المرسى

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجهة إلى تحسين الأحوال الداخلية بالمملكة التونسية، وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي1881م وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموه توثيقا لعرب المودة بين القطرين العامرين، اتفق الطرفان على عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بريار وبول كامبون وزيره المقيم تونس الذي أقدم أوراق اعتماده لعقد الاتفاقية المحددة في البنود الآتية:

البند الأول: لما كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها، تكفل بإدخال الاصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها

البند الثاني: تضمن الحكومة قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحد البالغ 125مليون فرنك والدين السائر الذي لايمكن أن يتجاوزه17550000فرنك ولكنها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهد سمو الباي المعظم بأن لايعقد قرضا في المستقبل لحسا المملكة التونسية دون إذن من الحكومة الفرنسية.

البند الثالث: يخصص سمو الباي المعظم من مداخيل المملكة أولا: المبالغ الملازمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنه فرنسا ثانيا: تخصصات سمو الباي وقدرها مليون من الريالات التونسية(120000فرنك) ومافضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع: هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن إيذانا بصحة ماتقدم حررت هذه الاتفاقية وختمها الموقعان بخاتمتهما[2]

كتب بالمرسى في08جوان1883

الإمضاء علي باي–بول كامبون

[1] علي محجوبي، مصدر سابق، ص153
[2] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص22

ملحق رقم05: مطالب الحزب الحر الدستوري التونسي من1920إلى 1933[1]

أولا: مجلس تفاوضي مشترك بين التونسيين والفرنسيين، يملك حق وضع منهاج أعماله

ثانيا:حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس باستثناء المقيم العام الفرنسي والجنرال قائد جيش الاحتلال والاميرال قائد البحرية

ثالثا: الفصل بين السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية.

رابعا: قبول التونسيين في جميع الوظائف العامة إذا استوت الكفاءات

خامسا: التساوي المطلق في المرتبات بين التونسيين والفرنسيين

سادسا: انتخاب حر للمجالس البلدية

سابعا: حرية الصحافة والاجتماع والمؤسسات

ثامنا:التعليم الاجباري العام

تاسعا:مشاركة التونسيين في ابتياع الارض المخصصة للمستعمرين

مطالب الحزب الدستوري منذ 1933

تصريح الحزب الدستوري

إن الحزب الحر الدستوري المجتمع في مؤتمر قومي يومي12و13ماي1933،

بعد إطلاعه على النشاط السياسي للحزب خلال الثلاثة عشر سنة الأخيرة أي منذ تأسيسه.

حيث أن سياسة التعاون مع السلطات الفرنسية قد أفلست تماما في هذا البلد، وحيث أن الوضع السياسي والاقتصادي في العالم، في الساعة الراهنة، وكذلك التطور الذي آلت إليه العلاقات بين الدول المستعمرة والشعوب المستعمرة يطرحان مسألة الاستعمار في سياق جديد، وحيث أن بعض البلدان المستعمرة أقدمت على دفع مستعمراتها نحو التحرير، وحيث أن التبعية الاقتصادية المفرطة للمستعمرات بالنسبة للبلدان المستعمرة قد أدت إلى افلاس الشعوب المستعمرة.

وحيث أن رسالة الحزب الدستوري التونسي–في مثل هذه الظروف واستجابة لارادة الأمة– تتمثل في دفع الشعب التونسي نحو تحرير أصبح محتما.

يعلن أن الغاية التي سطرها لعمله السياسي تتمثل في تحرير الشعب التونسي والحصول على دستور يصون الشخصية التونسية وسيادة الشعب وذلك بواسطته:

- برلمان تونسي ينتخب بالاقتراع العام، يملك حق وضع منهاج أعماله وتكون له كامل السلطة التشريعية
- حكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان
- الفصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية
- عدالة تونسية يخضع لها جميع السكان المستقرين بالبلاد
- الحريات العمومية لكل التونسيين دون تمييز
- التعليم الاجباي العام
- حماية الحياة الاقتصادية للبلاد
- وبصفة عامة توفير كل الوسائل التي من شأنها أن تنشل البلاد من الانهيار المادي والمعنوي الذي تتخبط فيه وضمان مكانتها بين الأمم المتحضرة التي تحدد مصيرها بنفسها.

[1] علي المحجوبي، المصدر السابق، 156-157+

ملحق رقم06: بيان الحزب الحر الدستوري إلى الشعب التونسي[1]

بيان من اللجنة التنفيذية للحزب الح الدستوري إلى الشعب التونسي

إن اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي بعد درسها للحالة الحاضرة على ضوء التطورات العامة، ترى من واجبها الحتمي هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها قضية الأمم المستضعفة أن تذك الشعب التونسي بما قرره المؤتمر القومي العام المنعقد ليلة27 رمضان الموافق 23من أوت 1365-1946 من إفلاس الحماية كنظام سياسي اقتصادي يناقض السياسة التونسية ومصالح الشعب الحيوية، وإعلان عزم الأمة على السعي للحصول على استقلالها التام.

ومنذ ذلك اليوم التاريخي أصبحنا نشاهد- بكل أسف أن حالة الجالية الفرنسية التي ما انفكت في تحسن وازدهار نتيجة لاستغلالنا وذلك على الغم من أن التطورات الحاصلة في الميدان الدولي تطبيقا للمواثيق التي أسفرت عنها الحروب والتي تكفلت بتحسين حالة الشعوب المستضعفة في جميع الميادين تلك المواثيق التي وقعت عليها فرنسا وضمنتها دستورها الأخير، وفي ذلك تناقض واضح بين ما التزمت به وبين سلوكها العملي المضر بحقوقنا ومصالحنا والمعطل لنهضتنا ولنيل استقلالنا. وفي الوقت الذي نرى فيه فنسا تتشبث بالنظام الاستعماري العتيق ذلك النظام غير الإنساني الذي فقد الأساس الدولي حيث نبذته منظمة الأمم المتحدة نرى بعض الدول المستعمرة وقد بادرت تنفيذا لما قررته تلم المنظمة إلى تصفية تركتها الاستعمارية بطريقة سلمية هادئة نالت نجاحا باهرا ماديا ومعنويا وبعض الدول الاستعمارية الأخرى التي امتنعت من الاستجابة لما قررته هيئة الأمم المتحدة أرغمت على تمكين الشعوب التي كانت خاضعة لها من استقلالها بعد مفاوضات بينها وبين ممثلي تلك الشعوب بحق، تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة.

ويجب أن ننبه الشعب التونسي هنا إلى أن الاستعمار الذي نظم مؤتمرات دولية، لايمكن أن ينتهي إلا بصفة دولية مالم تباذر دولة استعمارية ما.....إلى تصفية قضيتها الاستعمارية تصفية عادلة.

وان اللجنة التنفيذية للحزب قد شعرت من أول وهلة بهذا الاتجاه الجديد في السياسة الدولية فبادرت في خلال الحرب الأخيرة إلى عقد مؤتمر دستوري في شهر سبتمبر سنة1944 قرر السعي للحصول على الاستقلال الذي كان ولازال هدفنا الأسمى وأوكل إلى اللجنة التنفيذية اختيار الظرف المناسب للإعلان بهذا الأمر.

ولقد قامت اللجنة التنفيذية بهذه المهمة التي أوكلها المؤتمر وكانت كالحارس الأمين على هذا القرار الذي قرره، فعندما حاول المقيم العام الجنرال ماسط الرجوع بالأمة إلى سياسة الإصلاحات لتلهية الشعب التونسي ولفت نظره عن الهدف الذي ينبغي أن يتجه إليه وارتأى تشكيل لجنة لذلك الغرض حاول استدراج بعض التونسيين للمشاركة فيها، ورأت اللجنة التنفيذية للحزب جنوح بعضهم للاستجابة إليه فقامت في الحين وسعت بنجاح لحملهم على العدول عن ذلك.

ولما انتهت الحرب بذلك اللجنة التنفيذية مجهوداتها لاقناع الوطنيين التونسيين الذين يهمهم الأمر بتكوين جبهة وطنية تعقد مؤتمرا قوميا يضم نواب جميع الهيئات والمنظمات التي تمثل مختلف طبقات الشعب التونسي كله يصادق على ميثاق قومي يتضمن الإعلان بالمبدأ الذي قرره المؤتمر الدستوري سنة1944 فكان مؤتمر 27 رمضان الذي اتخذت فيه الأمة التونسية اتحادا مخلصا تسامت فيه فوق جميع الاعتبارات وصادقت على ذلك الميثاق الذي وضعت اللجنة التنفيذية خطوطه الرئيسية والذي وضع حدا لكل خلاف أو تأويل من ناحية المبدأ الذي ينبغي أن يتوخاه من يتصدى للقيام بمهمة الكفاح السياسي في هذه البلاد، ولقد حرصت اللجنة التنفيذية على أن يستمر ذلك التكتل والإتحاد اللذان ظهرت آثارهما الطيبة في ذلك الظرف التاريخي وأن يكون أكثر ثباتا واستقرارا حتى يتيسر لنا أن نستمر على السير لتحقيق الهدف الذي تضمنه الميثاق القومي في جبهة متحدة متماسكة لايجد فيها الخصم منفذا وتكون أقوى ضمان للفوز والنجاح بيد أننا أصبحنا نرى بكل أسف انحرافا عن الميثاق القومي الأخير إلى

[1] الطاهر عبد الله، المرجع السابق

سياسة إصلاحية تجع بنا إلى عهد1922م.بل لقد بلغ الأمر في سبيل تحقيق بعض الغايات إلى التفريط في أمور خطيرة تتعلق بصميم السيادة التونسية ومصلحة الشعب التونسي وهو مانعده افتئاتا على هذا الشعب ولانقر أبدا. واللجنة التنفيذية ترى أنها إزاء هذا الأمور الخطيرة وفي مثل هذه الظروف الدقيقة لامناص لها من أن تحذر الشعب التونسي من التطويح به في مهام غير واضحة المعالم وتوريطه في شراك يعسر عليه فيما بعد الخلاص منها وهي تعلن إليه:

أولا: أنها لاتزال متمسكة – قولا وعملا– بالميثاق القومي لليلة27رمضان

ثانيا: أنها لاتعترف لأي أجنبي بأي حق في بلادنا (فتونس للتونسيين) وليس للأجانب مهما كانت علاقتهم بنا إلا المصالح المشروعة التي لا تتنافى مع مصلحة الشعب التونسي وسيادته.

واجتنابا لكل تأويل سيء فإننا نوضح أننا لا نصدر في ذلك عن أي تطرف ملي ضيق النظر أو تعصب عنصري بل ....إن غرضنا وضع حد لهذا التدخل في أمور سيادتنا واستغلال مواردنا استغلالا جائرا انحط معه المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للشعب حتى يمكن لنا أن نعيش أحرارا مستقلين في بلادنا كسائر الأمم الحرة، ونحن على استعداد طيب للتعاون مع سائر الأمم الحرة لمصلحة الجميع ولخير الإنسانية العام.

لذلك فهي تهيب بالشعب التونسي إلى التمسك بحقه الكامل في السيادة والاستقلال وعدم الرضي بالحلول العرجاء التي لانتزاع غل العبودية من عنقه بل تزيد في تمكين خصمه من مقاومته وتدعوه إلى التكتل والاتحاد المخلص في جبهة متينة متماسكة تسمو عن جميع الأغراض والنزاعات إلا مصلحة الوطن العليا مثلما فعل ذلك في مؤتمره التاريخي العظيم ليلة 27رمضان وان في استجابته لدعوتنا المخلصة الوسيلة الوحيدة لتحقيق حريتنا واستقلالنا.

عن اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي القديم(صالح فرحات الأمين العام) [1]

[1]الطاهر عبد الله، المرجع السابق،

ملحق رقم07: عبد العزيز الثعالبي مع طلبة الزيتونة

ملحق رقم07: صور زعماء الحركة الوطنية[1]

علي باش حانبة

1876 –1918

البشير صفر

1856 –1917

عبد الجليل الزّاوش

1873 –1947

عبد العزيز الثعالبي

1875 –1944

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 70

الملحق رقم08:

مظاهرة 8 أفريل 1938 بتونس العاصمة.

الملحق رقم09: الحبيب بورقيبة مع الباي محمد الأمين

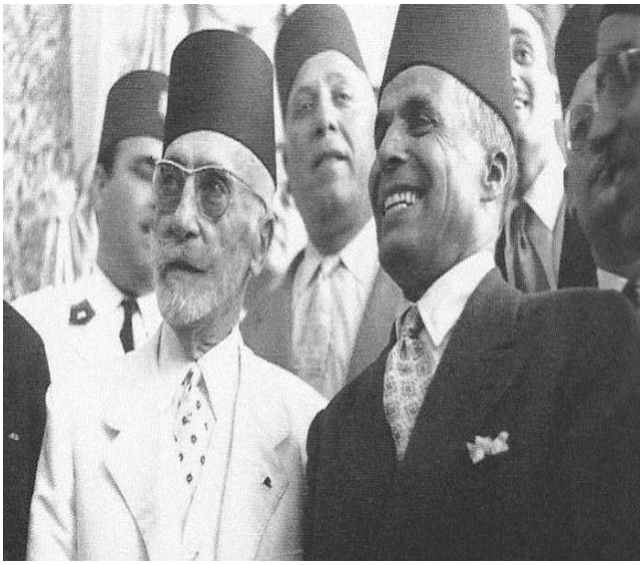

الملحق رقم 10 : صورة صالح بن يوسف و الحبيب ورقيبة

صالح بن يوسف

الرائد الرسمي للجمهورية التونسية

ملحق رقم 11: معاهدة الاستقلال عام1956

بروتوكول الاستقلال (1956)

في 3 جوان 1955 على إثر مفاوضات حرة حصلت بين وفديهما اتفقت الحكومة الفرنسية على الإعـتراف لتونس بممارستها الكاملة للسيادة الداخلية فأبديتا على هذا النحو عزمها على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولى الإشراف على مصيره على مراحل.

وتعـترف الحكومـتان بـأن الـتطور المنسجم والسلمي للعلاقات التونسية الفرنسية يتمشى مع مقتضـيات العالم العصري ويلاحظان بابتهاج أن ذلك التطور يتيح البلوغ للسيادة الكاملة بدون آلام بالنسبة للشعب وبدون صدمات بالنسبة للدولة.

وتؤكد اقتناعهما بأنه بإقامة علاقتهما على أساس الإحترام المتبادل والكامل لسيادتيهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين.

وعلـى إثـر خطاب التولية الذي ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤكدين لعـزمهما المشـترك علـى التقدم بعلاقاتهما في نفس روح السلم والصداقة افتتحت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم 27 فيفري وبناء عليه تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس.

وينجم عن ذلك :

أ/ أن المعـاهدة المـبرمة بيـن فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881 لا يمكن أن تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية ؛

ب/ أن أحكـام اتفاقـيات 3 جوان 1955 التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلة ذات سيادة سيقع تعديلها أو إلغاؤها.

وينجم عن ذلك أيضا :

ج/ مباشـرة تونس لمسؤولياتها في مادة الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وكذلك تكوين جيش وطنـي تونسي في نطاق احترام سيادتيهما تتفق فرنسا وتونس على تحديد أو إكمال صيغ تكافل يكـون محققـا فـي حـرية بين البلدين بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تكون مصالحها فيها مشتركة خاصة في مادة الدفاع والعلاقات الخارجية.

وستضـع الإتفاقـيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في إنشاء الجيش الوطني التونسي.

وستسـتأنف المفاوضات يوم 16 أفريل 1956 قصد الوصول في أقصر الآجال الممكنة وطبقا للمبادئ المقررة في هذا البروتوكول لإبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ.

حرر بباريس في نسختين أصليتين يوم 20 مارس 1956
عن فرنسا : (أمضى) كريسيان بينو
عن تونس : (أمضى) الطاهر بن عمار

الملحق رقم12 : بيان الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي حول المصادقة على الاتفاقيات التونسية- الفرنسية القاهرة في 1955/07/12

وأخيرا صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على الاتفاقيات التونسية بأغلبية لم يعهد لها نظير في تاريخ الجمهورية الرابعة حق في بعض المناقشات التي أصبحت تاريخية وكانت تتناول مستقبل فرنسا ومصيرها.

ذلك أن حكومة (المسير إدقار فور) استطاعت أن تحصل من المفاوضين التونسيين على تنازلات فادحة، جعلت الحكم الذاتي المعلن عنه من قبل فرنسا خاليا من مقوماته الأساسية، وأدخلت البلاد في نظام وحدة فرنسية-تونسية، يؤمل المستعمرون الذين رضوا في آخر لحظة بالاتفاقيات أن تفشل إزاءها كل حركة وطنية تستهدف استقلال بلادنا استقلالا كاملا.

إن فرنسا ستظل لمدة غير محددة تتحكم في مصيرنا، إذ تعترف لها الاتفاقيات بحق إدارة شؤوننا الخارجية وتولي شؤون الدفاع بصورة مطلقة في بلادنا، تصرفا مطلقا كلما دعا إلى ذلك قيام فرنسا بمسؤولياتها الدولية أو الخاصة، أما الأمن وهو من المقومات الأساسية لسيادة أية دولة فإنه سيظل لمدة طويلة خارجا عن نفوذه الحكومة، وسوف لايتم توحيد القضاء إلا بعد مدة طويلة مجحفة.

وفي الميدان الاقتصادي والمالي، فإن الاتفاقيات تقر بصورة نهائية جميع ما اغتصبه الاستعمار الفرنسي من الثروة الوطنية، سواء بالنسبة الأراضي الزراعية أو المناجم، أو غيرها.

وستكون نهضة الاقتصاد التونسي بصفة دائمة تحت رحمة رأس مال الفرنسي، وبذلك يصبح من العبث أن يتغنى بعض التونسيين بقرب خلاصهم من السيطرة الأجنبية.

عن المؤسستين الرئيسيتين للنظام المقبل الذي سمي مخادعة، بالحكم الذاتي، هما حكومة صورية وبرلمان عدم الصلاحيات، سيصبحان وكلاء يديرون النظام الاستعماري الذي فرض على تونس منذ74عاما.

والآن قد تمت المصادقة على الاتفاقيات، ونشرت نصوصها، لن يستطيع أحد أن يقنع الشعب التونسي بأنها تعد مرحلة جريئة نحو استقلالنا التام، والحقيقة أنها عبارة عن إضفاء الصبغة الشرعية على نظام استعماري أوشك على الانهيار.

وخلافا لما سبق أن أكده الرئيس الحبيب بورقيبة، فإن البرلمان الفرنسي عندما صادق على الاتفاقيات بأغلبية تقرب من الإجماع، إنما عزز بذلك السيطرة الاستعمارية الفرنسية على بلادنا.

وإني إذ أصر على معارضتي لهذه الاتفاقيات، والتشهير بها على رؤوس الملأ، ليس ذلك توقعا لسو تطبيقها من جانب الفرنسيين، بل لأني أعتبرها ذاتها خطرا يهدد كيان الأمة التونسية، قد يكون من الصعب درؤه أو تلافيه [1]

[1] عبد الحفيظ موسم، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه(ل م د) في التاريخ المعاصر،جامعة أبي بكر بلقايد، 2015-214،2016-215

البيبلوغرافيا

قائمة المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش

1- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،مر:سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان ،2000

2- البكوش الهادي ، شهادات على الاستعمار و المقاومة في تونس و الجزائر و المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،2013

3- الثعالبي عبد العزيز ، تونس الشهيدة ، تر:حمادي الساحلي،دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1984،

4- السبسي الباجي قائد ، الحبيب بورقيبة المهم والأهم، تر: محمد معالي، دار الجنوب، تونس،2011،

5- بن القاضي محمد شاذلي، الجامعة الزيتونة، المجلة الزيتونية، هيئة مدرسي جامع الزيتونة المعمور، العدد57، مج 09،ج06، 1955،

6- الماطري محمود ، مذكرات مناضل ، تقديم عز الدين قلوز، تعريب حمادى الساحلي،ط1، دار الشروق، القاهرة ، مصر،

قائمة المراجع:

07- الأرقش عبد الحميد ، الحركة العمالية التونسية1920-1957، بيروت،1999، 08-

08- اتشايجي عبد الرحمان ، المسألة التونسية والسياسة العثمانية1881-1913، ت عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973،

09- الأقداحي هشام محمد ، معالم الدولة القومية الحديثة(رؤية معاصرة)،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر،2008 ،

10- أندري جوليان شارل ، إفريقيا الشمالية، تسيير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، تونس، دار تونسية للنشر 1976،

10- البشير بن الحاج عثمان الشريف،أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924،دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،ط1981،01،

11- بوذينة، المشاهير التونسيين، تونس، مطبعة فنون الرسوم للنشر،1988

12-التركي عروسية ، الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956 ،ط1 ،مكتبة علاء الدين ، تونس ،2011

13- ، الجابري محمد عابد ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1990

14- حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تح:حمادي الساحلي، دار الجنوب للنشر، تونس،2007

15- الحمامي عبد الرزاق ، الفكر الإسلامي في تونس(1956-1987)، مركز النشر الجامعي، كلية الأداب والفنون والانسانيات بتونس، 2005

16- الخرفي صالح ، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995

17- خليفة الشاطر وأخرون ، تونس عبر التاريخ و الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، ج3، د ط مركز الدراسات و الأبحاث الإقتصادية و الاجتماعية ، تونس ،2005،

18- بن خوجة محمد ، صفحات من تاريخ تونس، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986،

18- داهش محمد علي ، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية الآداب، مركز الكتاب الأكاديمي جامعة الموصل، العراق،

19- الداودي زهير ، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، د-ط، دار نقوش عربية، تونس،2014

20- درمون يونس ، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر،

21- زكي أحمد صلاح ، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط01، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001،

22- الزملي الصادق ، أعلام تونسيون،تر:حمادي الساحلي،ط01،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986،

23- الزواري رضا ، الصراع الطبقي في تونس ،المطبعة المغاربية للنشر و التوزيع ، صفاقس ،2009

24- سالم لبيض ، الهوية ، الإسلام ، العروبة التونسية . مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 2002،

25- السوفي عمار، بني خداش و جيرانها عبر الحركة النضالية – من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية – ط1 ، 2001 ،

26- شاكر محمود ، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب،ط02،ج18، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996،

27- شترة خير الدين ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900- 1956، ج01، ط خ، دار البصائر ، الجزائر، 2009،

28- شيخاني محمد ، التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، ط01، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 2008،

29- الشابي محمد لطفي ، ملاحظات حول بروز الوعي الوطني التونسي(1881- 1939)في الثقافات و الوعي الوطني مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس 1999 ،

30- الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس، تـ محمد الشاوش محمد، سراس للنشر، تونس،2011

31- الطويلي أحمد ، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر ، تونس، 1992،

32 - بن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

33- بن عبود المهدي، اديولوجية الإسلام ، محاضرات الملتقى 6 للتعرف على الفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ،م4 ، الجزائر 1974 ،

34- العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، منشورات كلية الأداب بمئوية تونس، 1992،

35- العروي عبد الله ، الاديولوجية العربية المعاصرة، ط01، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ،1970،

36- العقاد صلاح ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، الجزائر، تونس،المغرب الأقصى، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر1993،

37- عبد العزيز بم حمد الحسن ، مختصر تاريخ البلاد التونسية الإنسان و الأرض ،من عصور ماقبل التاريخ حتى الاستقلال ،مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1434 هـ،

38- عمارة محمد ، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل، دار الشروق، ط01، 1994،.

39- عودة محمد عبد الله ، الخطيب ابراهيم ياسين ، تاريخ العرب الحديث،ط01، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1977،

40- قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1967

41- القصاب أحمد ، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، تع: حمادي الساحلي،ط01، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986،

42- قناش محمد ، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

43- كليمانز ريكر، الليبرالية في تاريخ الفكر العربي، ط01، 2010،

44- لبيض سالم ، الهوية، الإسلام، العروبة، التونسة، مركز دراسات الوحدة العربية،ط01، بيروت،2009،

45- محجوبي علي ، جدور الحركة الوطنية التونسية -1904-1934 ، ط1، ت عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة ، تونس، 2000،

46- المحافظة علي ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، 1983،

47- المحجوبي علي ، جذور الحركة الوطنية 1904-1934، المجمع التونسي للعلوم والآداب، بيت الحكمة،1999،

48- محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين،ج01، دار الغرب الإسلامي،ط02،بيروت،1994

49- محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين،ج01،ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1882،

50- ملكاوي فتحي حسن ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية منهجية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط01، 2011،.

51- مناصرية يوسف ، الصراع الإديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937،دار المعارف، تونس،2002،

52- مناصرية يوسف ، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين (1919-1934)،د-ط، دار هومة، الجزائر،2013 ،

53- ياغي إسماعيل أحمد وأخرون ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر قارة أفريقيا، ج2، ط10،دار المريخ للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1993

54- بن نبي مالك ، شروط النهضة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط03 ، 2000

55- بن نبي مالك ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، ط 03، 2000.

قائمة المقالات والمجلات:

1- البزاز سعد توفيق عزيز ، العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل1946-1956، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد12، جامعة بابل،2013

2- التكريني غيلان سمير طه ، الحركة الوطنية التونسية في سنوات مابين الحربين1918-1939، مجلة آداب الفراهيدي، العدد13، جانفي2012

3- الكريشي خالد ، القوميون في تونس هل يشفع لهم تاريخهم؟ جريدة الضباح، نشرت 2011/03/14، 2005 ،

4- الماوي محمد علي ، حقيقة حزب العمال الشيوعي في تونس، الحوار المتمدن، ع3282، صدرت في 200/2/19

5- المتيجي محمد ، جريدة المنار ، ع 15 ،السنة 1 ، الجزائر ، 1952

6- المناعي محمد ، الحزب الشيوعي التونسي(حركة التجديد حاليا)، لمحة تاريخية، ج01، 27فيفري 2011، mani over-blog-com

7- بن عاشور يوسف، تونس الفتاة، جريدة أسبوعية/ ، الحركة الوطنية التونسية، السنة2، ع12

8- حمدي سمير، هل لدينا أحزاب ليبرالية في تونس؟، صحيفة الزيتونة،العدد14، تاريخ2013/09/01 .

9 - حمدي سمير ، الأحزاب الليبرالية في تونس، الضعف والعجز والفاعلية

10- مهابة أحمد ، قضايا المغرب العربي خلال 30 عاما ، مجلة السياسية الدولية ، العدد 121 ، القاهرة ، جوان 1995

11- الأحزاب الشيوعية العربية ج01 قناة الجزيرة موقع الكتروني ،

37- رشيد رضا محمد ، تونس خطاب المقيم العام، مجلة المنار الشهرية، م01، ع10، مصر، 1315هـ -1316هـ ،

الموسوعات والقواميس:

- أبو حجر آمنة إبراهيم، موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002

الرسائل الجامعية:

1- شابي سهام ، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي (1225هـ -1307/1810- 1889م) من خلال كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك،إشراف:عاشوري قمعون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي،2013-2014

2- قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري، أطروحة دكتوراه دولة، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة قسنطينة، 2007،

3- مناصرية يوسف ، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934 رسالة ماجستير، جامعة الجزائر معهد التاريخ ، إشراف أبو القاسم سعد الله ، 1986 ،

4- موسم عبد الحفيظ ، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في التاريخ المعاصر،جامعة أبي بكر بلقايد، 2015-2016

قائمة المراجع الأجنبية

56-Jacqueklein , LaTunisie ,PvF :Paris,1ere EDITION,1949,P107

57-Rounard Docard .Latorque et le Peotectorate francisen Tunisice 1881-1913.paris 1916.

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

ابن خلدون ص35

ابن أبي الضياف:

أحمد باشا

أحمد الصافي46

أحمد توفيق المدني هـ

أحمد المستيري52

أحمد التليلي

أحمد باي 10

أحمد بن بلة

ب

بيرم الخامس10

بن نبي مالك08

البشير صفر12

الباي محمد ناصر54

الباجي قايد السبسي

بورقيبة د–25–26–42–43–44–45–54–56–60

ج

جمال عبد الناصر45

جمال الدين الأفغاني20–21

جنرال حسين10

جورج ديهاميل60

جان روس60

خ

خير الدين باشا 09–17–16–22–23

خير الدين09–10–18–22

خير الله بن مصطفى

ح

الحبيب بورقيبة26–27–28–29–37–47–50–51–52–54–57–61

الحبيب ثامر 29–50

حسن التريكي50

حسن قلاتي23–39–45–48–54–55

حسن السعداوي31

ر

رشيد رضا20

الرشيد إدريس55

س

سالم الحاجب19

سان لوسيان23–24–39

ش

الشيخ محمد السنوسي10–20–21

الشيخ سالم الحاجب21

الشاذلي خير الله بن مصطفى41–42

الشاذلي القسطلي25–49

ص

صالح بن يوسف 32–45–47

ط

الطبيب سليم57

الطاهر الحداد26

الطاهر الأسود37–52–53

الطاهر الأصفر24–25

ع

عبد الحميد بن باديس17

علي بوشوشة10

علي باشا حامبه12–20–37

علي كاهية49

عبد العزيز الثعالبي18–23–25–37–38–43–47–49–54–55

علي بهلوان26

عبد الله العروي16

علي جراد28

عبد الجليل التميمي ب– د

ف

الفاضل بن عاشور26

فرحات بن عياد55

م

المحجوب هـ

محمد الخضر حسين17

محمد الطاهر بن عاشور17–21

محمد العزيز17

محمد عبدو18

محمد الناصر باي 38–40–50

محمد الحبيب باي58

محمد الماطري د–24–43–44

محمد السنوسي 10–19

المنصف باي32

منداس فرانس53

مراد بوخريص57

ن

الناصر باي39–57

و

ويلسون 22–48

ي

يوسف مناصرية بـ

يوسف الرويسي 56

يوسف بن عاشور 35

فهرس الأماكن

أ

أثينا 60

ألمانيا 30-31

الاتحاد السوفياتي28

إفريقيا 12-33-38

آسيا 13-38

أوروبا 37

أمريكية28

ب

بغداد 25

باندونغ47

البحر المتوسط47

ت

تونس أ-ب -ج-8-11-13-14-15-17-20-23-26-30-33-34-42-50-
51-52-55- 57

ح

حلق الوادي 27

ج

الجزائر 17-53

د

دمشق 47

ص

الصحراء الليبية47

صفاقس 17-46

ط

طرابلس50 -

ف

فرنسا 9-13-28-14-31-37-48-52-53-60

فلسطين26-50

ق

القاهرة47-50

القيروان18-

القدس 56

قفصة54

ش

شمال افريقيا 46

م

مصر 49

المشرق19

المغرب الأقصى49

موريتانيا49

هـ

الهند49

فهرس المحتويات:

الإهداء	
كلمة الشكر	
مقـدمة.	أ– و
مدخل: إرهاصات الحركة الوطنية التونسية.	7
الفصل الأول: . المرجعيات الفكرية للحركة الوطنية	15
المبحث الأول: * التيار الإسلامي	17
المبحث الثاني: التيار الليبرالي	22
المبحث الثالث: التيار الشيوعي	27
المبحث الرابع: التيار القومي	31
خاتمة الفصل الأول	34
الفصل الثاني :إشكالية الصراع في الحركة الوطنية	36
المبحث الأول: واقع الصراع الإديولوجي	38
المبحث الثاني: إشكالية الاستقلال و المقاومة	48
المبحث الثالث إشكالية الهوية والنظام	54
خاتمة الفصل الثاني	58
خاتمة	59
الملاحق	64
قائمة المصادر والمراجع	76
الفهارس.	85
فهرس الأعلام	86
فهرس الأماكن والبلدان.	92
فهرس المحتويات	95